المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العلي
جامعة الملك سعود
عمادة البحث العلمي
مركز بحوث كلية التربية

مظاهر الشرك
في الديانة النصرانية

إعداد
د. محمد بن عبد الله بن صالح السحيم
أستاذ مشارك، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود

عضو الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب

عضو الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

بحث محكم

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السحيم، محمد بن عبدالله

مظاهر الشرك في الديانة النصرانية./ محمد بن عبدالله السحيم.- الرياض، ١٤٣١هـ

٩٨ص؛ ١٧×٢٤

ردمك: ٣-٦٥٤-٥٥-٩٩٦٠-٩٧٨

١- العقيدة النصرانية أ. العنوان

ديوي ٢٧٣ ١٤٣١/٤٦٥٩

رقم الإيداع: ١٤٣١/٤٦٥٩

ردمك: ٣-٦٥٤-٥٥-٩٩٦٠-٩٧٨

مطابع جامعة الملك سعود

المحتويات:

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ فمن آمن بهما وعمل بمقتضاهما فقد فاز وأفلح، ومن أنكرهما أو جحد أحدهما فقد خاب وخسر، ولن يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئا، ثم أما بعد

فإن القرآن والسنة هما الحكم العدل الذي لا يحيف، والمعيار الذي لا يضل، والقسطاط الذي لا يحابي، حكم على كل أهل ملة بما يعتقدون، ووصفهم الوصف الذي يستحقون، وجاء الأمر به للمؤمنين بأن يتخذوه منهجا ودستورا، وأن يشهدوا على الناس بمقتضاه ويحكموا عليهم بحكمه، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ البقرة،١٤٣.

ومما شهد به القرآن الإخبار عن النصارى أنهم أهل كتاب، وأنهم مع ذلك يشركون بالله ويتخذون معه آلهة أخرى، ولأن من المسلمين من يجهل هذه الحقيقة، وبعضهم لا يجهلها ولكنه يماري في الحق، ويجادل في الباطل، ويزعم أنهم ليسوا كافرين، وليس فيهم شرك بل مؤمنون لا بل مسلمون، وهذا خلاف الحق بل خلاف الواقع.

لذا رأيت أن أكتب في هذه المسألة كتابة موجزة تبين الحق لمن قصده، وتقيم الحجة على من عاند وكابر، ولم أجعل ضمن منهج هذا البحث أن أنقض كل عقيدة شركية تؤمن بها النصرانية سواء كان النقض من مصادرنا أو من مصادرهم، لأن هذه القضية — أي الرد على هذه العقائد مما حفلت به الكتب التي صنفها علماء

الإسلام قديما وحديثا، وإنما أردت أن أذكر طرفا من مظاهر الشرك وصُوُرِهِ في الديانة النصرانية؛ ليكون المخطئ على بينة، والجاهل على علم، و تقوم على المعاند الحجة.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وخاتمة، ففي التمهيد تناولت دواعي الكتابة في هذا الموضوع، وحقيقة الشرك، وعِظَمِ ذنب الشرك وشدة وعيده، وفي المبحث الأول تناولت مظاهر الشرك في النصرانية كما وردت في الكتاب والسنة، وفي المبحث الثاني تناولت مظاهر الشرك كما وردت في المصادر النصرانية، وفي الخاتمة ذكرٌ لأبرز نتائج البحث.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله من العلم النافع والعمل الخالص، وأن يجعله سببا مباركا يهدي به الله من قصد الحق وأراده، ويفحم من أراد إضلال العباد ومعاندة الحقائق، وأصلي وأسلم على من بعثه الله بالملة الحنيفية السمحة، والحمد لله رب العالمين.

د. محمد بن عبد الله بن صالح السحيم

جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الدراسات الإسلامية

ص ب ٢٦١٠٣٢ الرياض ١١٣٤٢ أو ams_1423@hotmail.com

تحريرا في مكة المكرمة ١٤٢٩/١٢/٧هـ

تمهيد

أولا: دواعي الكتابة

تعتقد النصرانية عقائد كثيرة مخالفة لما جاءت به الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام، وبعض هذه العقائد انتقلت إلى النصرانية من ديانات وثنية[1] ، وهي ولا شك اعتقادات شركية كادعاء أن المسيح عليه السلام ابن الله، وعقيدة التثليث، والصلب، والتعميد، واتخاذ الأحبار أربابا. .. وغيرها ولذا حكم القرآن العظيم على النصارى بأن فيهم شركا، وأنهم يضاهئون قول الكافرين، كما حكم عليهم بالكفر في آيات كثيرة كما في سورة النساء والمائدة والبينة وغيرها، وتتابع العلماء المسلمون على مر العصور ينهلون من القرآن والسنة أحكامهم وعلى ضوئها يبْنون تعاملاتهم، كما صنفوا المصنفات الناقدة لهذه الديانة فكانت النتائج التي توصلوا إليها موافقة لما في القرآن والسنة، ومطابقة لواقع الديانة النصرانية، حتى جاء العصر الحديث فتتابعت الدراسات الغربية في نقد هذه الديانة؛ فكانت النتائج التي توصلوا إليها[2] هي النتائج التي أشار إليها الوحي، واهتدى بها المسلمون، ودونوها في مصنفاتهم،[3] ولا ينبغي أن ننسى أن العلماء الغربيين قد تأثروا بالمحققين المسلمين في نقدهم للديانة النصرانية،[4] ورغم هذا التوافق بين الوحي وبين ما تركه لنا أئمة الإسلام، ثم هذه المتابعة المنصفة من بعض علماء الغرب لحقائق الوحي والشهادة

(1) انظر العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ٣٥ وما بعدها.

(2) انظر الأصول الوثنية للمسيحية ٣٧، وانظر التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ٢٨٤، فقد أوردا عددا من النتائج المتعلقة بهذا الشأن.

(3) انظر على سبيل المثال الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣١٦/١، والأجوبة الفاخرة للقرافي ١٠٥، وغيرها.

(4) انظر في مقارنة الأديان بحوث ودراسات ٩٠.

على النصرانية بالشرك والتحريف؛ إلا أننا نجد من أبناء المسلمين اليوم من يحرص على أن يضفي على النصرانية وعلى النصارى أوصافا تخالف الدليل الشرعي والواقع فيصفهم بالمؤمنين لا بل بالمسلمين،[٥] وأنهم أهل توحيد، وأنهم لا يختلفون عن المسلمين إلا كما يختلف المبتدع عن المسلم المتبع.

ويأخذك العجب من هذه الأقوال كل مأخذ؛ وما ذاك إلا لأن الأمة الإسلامية عاشت فيما مضى من عمرها حفية بدينها ملتزمة بمنهج ربها مقتفية سنة نبيها ﷺ، لا يدفعها النصر إلى البَطَر وغمط الناس أشياءهم، ولا تذلها الهزيمة فتوقعها في الذل والتنازل عن دينها وعقيدتها، وعاش النصارى بين ظهراني المسلمين يقومون بواجباتهم، ويعرفون حقوقهم من غير حيف ولا ظلم، وتجاورت الأمتان والحرب بينهما تستعر وتضع أوزارها حينا فحينا، ولم تكن الحرب لتدفع الطرفين إلى التنازل عن العقيدة مصانعة للمقابل، ولم يكن السِلْم سبيلا لتمييع الاعتقاد هنا أو هناك، فكانت المواقف ثابتة لا تتغير، رغم إن قوافل النصارى المهتدين لا زالت تَتَابع نحو هذا الدين العظيم.

إلا أن هذا العصر شهد متغيرات كثيرة متتابعة ومتناقضة منها ما كان مُنطلقه ومنتهاه من النصارى، ومنه ما كان من المسلمين، وصاحب ذلك دعوات للتقارب واتحاد الأديان من الغرب ومن الشرق، وهي ولله الحمد دعوات لم تلق القبول الذي كان يتوقعه لها أربابها، ورغم أن النصارى يتحفظون في عباراتهم التي

---

(5) تكرر تقديم صفة الإيمان على صفة الإسلام في هذا البحث وقصد الباحث من ذلك أن البعض يصف أهل الكتاب بالمؤمنين أي يؤمنون بالله وبالكتب وباليوم الآخر ، وبعضهم لا يكتفي بأن يصفهم بالإيمان العام بل يصفهم بأنهم مسلمون. والإيمان الذي ورد فضله في القرآن الكريم ليس هو ضد الإلحاد فقط، بل هو مرتبة أعلى من الإسلام ويأتي بعده الإحسان، وهذا لا يجوز إطلاقه على الكفار عموما، ولا على أهل الكتاب خصوصا، ومن يؤمن بالله ربا ويكفر بمحمد ﷺ نبيا فليس بمؤمن.

يخاطبوننا بها أو يخاطبون بها العالم مما له تعلق بنا كما في بيان الفاتيكان عن الحوار مع الأديان [٦] — إلا أننا نجد ممن ينتسبون للفكر من المسلمين بعض العبارات التي تضفي على النصارى صفة الإيمان بل صفة الإسلام، وليس لها ما يسندها من دليل شرعي، ولا ما يستدعيها من ضرورة معتبرة، بل على العكس من ذلك لا يزداد أهل الكتاب في تعاملهم معنا إلا عتوا وظلما، فلم تحقق هذه العبارات مقصدا شرعيا ولا مصلحة دنيوية، وكيف يرجى أن تحقق ذلك وهي أصلا مخالفة شرعية، وضلالة عقدية.

والعبارات التي أشرت إليها كثيرة جدا، لكن يكفى منها موضع الشاهد، فمن ذلك قول عبد اللطيف غزالي: (الإسلام الذي لا يقبل غيره هو أن تسلم وجهك لله وأنت محسن، وأن أي امرئ كان هذا حاله فإنه مسلم، سواء كان مؤمنا بمحمد أو كان من اليهود أو النصارى أو الصابئين فله أجره عند ربه، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون). [٧]

وأكثر منه صراحة قول محمد عمارة: (الفوز بأجر الله سبحانه وثوابه والنجاة من العذاب الذي تحدث عنه القرآن في وعيده الذي توعد به العصاة، والسعادة الإلهية التي تنفي الحزن.. كل ذلك حقُ وعد الله به سبحانه لا المسلمين المؤمنين بالشريعة المحمدية فقط، وإنما مطلق المتدينين بالدين الإلهي الذين جمعوا إلى إيمانهم بالألوهية الإيمان بالجزاء والحساب). [٨]

---

(6) سنأتي الإشارة إليه في الصفحات التالية، إن شاء الله.

(7) نظرات في الدين ١٦.

(8) دين الله واحد ٣٢.

ويقول أيضا: (كل الذين يؤمنون بالوحدانية هم متدينون بذات الدين الحنيف، أي جوهره التوحيدي. .. وكل الذين يطيعون الله بالعمل الصالح هم مـــسلمون).[٩]

فالقارئ يري كيف أضفى عليهم صفة الإسلام.

بينما يرى محمد عبده أن الفرق بين المسلمين وأهل الكتاب كالفرق بين أهل السنة وأهل البدعة ممن ينتسبون إلى الإسلام حيث يقول: (الفرق بيننا وبين أهل الكتاب يشبه الفرق بين الموحدين العاملين بالكتاب والسنة وبين المبتدعة الـــذين انحرفـــوا عنهما).[١٠]

ويقول عبد العزيز كامل مصححا دين أهل الكتاب: (ونحن في منطقـــة الـــشرق الأوسط نؤمن بالتوحيد بطريقة أو بأخرى، وأقولها واضـــحة: يـــستوي في هـــذا الإسلام والمسيحية واليهودية، حتى الإيمان بالأقانيم الثلاثة في الفكر المسيحي يُختم بإله واحد، هذه منطقةُ توحيد، والصور تختلف، وتفسيرها الفلسفي يختلف، حـــتى في مصر القديمة مع التعدد الظاهري كان للآلهة كبير أو وزير).[١١]

الأقوال في هذا الباب كثيرة جدا، بل أكثر من أن تحصر.

وهنا يحق للباحث أن يتساءل

- هل استقامت النصرانية على منهاج النبوة! فرغب هؤلاء أن يطبقـــوا أحكـــام الوحي على ما يوافقه من الواقع؟!

- لماذا يتهالك البعض على إضفاء صفة الإسلام على النصارى ويـــصفهم بـــأنهم مؤمنين ومسلمين؟

---

(9) الإسلام والوحدة القومية، ص ٦٩.

(10) الأعمال الكاملة لمحمد عبده ٦١٤/٤.

(11) الإسلام والعصر ٩٤.

– هل تبدلت حال النصارى معنا فأصبحوا يعاملوننا معاملة الأخ لأخيه، فتبدلت المواقف طمعا في استمرار هذا التعامل الطيب واستدرار المزيد منه؟ رغم أن ذلك لا يسوّغ مخالفة الشرع.

– هل يعتقد النصارى خصوصا وأهل الكتاب عموما أننا مؤمنون؟ بل هل يعتبروننا من أتباع المرسلين؟

– هل يعتبروننا في الآخرة من ورثة جنة النعيم ؟

– هل يعتقد النصارى أننا على الحق؟

– هل غابت عنهم حقائق الوحي؟ أم هل تبدلت حقائق الوحي، وقد انقطع نزول الوحي من السماء؟

إن حقائق الوحي لم ولن تتغير، لأنها تنزيل من حكيم حميد، قال جل ثناؤه: ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ الكهف، ٢٧. وأن النصرانية على الحال التي كانت عليها وقت التنزيل بل هي أضل سبيلا وأبعد طريقا، والنصارى في تعاملهم مع المسلمين اليوم — خاصة دولهم الباغية – لا نرى منهم إلا عتوا كبيرا.

والنصارى اليوم كلهم على اختلاف طوائفهم لا يرغبون أن يُعتبروا مسلمين؛ بل لا يقبلون هذا الوصف؛ لأنهم لا يعتبِرون المسلمين من أتباع الديانات الكتابية، بل يروننا مثل أتباع الديانات الشرقية الوثنية.(١٢) فلماذا يجتهد البعض في إضفاء صفة الإسلام عليهم وهم لا يريدونها!

هل إضفاء وصف الإسلام عليهم من باب المكافأة بالمثل، أم أننا نعتقد أننا نمنحهم وصفا طالما تطلعوا إليه؟ أم أنه من باب دفع اللائمة عنا لئلا نوصم بالعنصرية

(12) انظر الإسلام والمسيحية ١٣٥-١٣٧.

ونتهم بالتفرقة الدينية! ولأجل أن يمنحنا المخالفُ شهادة حسن جوار وجواز مرور للمشاركة في المنظومة الدولية أم أم أم. .... إن هذا الوصــف لا يقبلونــه ممــن وصفهم به منا. ولا يعتبر هذا العمل مقبولا شرعا، ولا مستساغا عرفا.

إنهم يتمنون أن نلحق بهم ونبلغ درجتهم، ولذا تجوب قوافل التنصير أرجاء العــالم الإسلامي، ويتحرقون على استجابة المسلمين لهم.

ومن يطلع على نص مسودة القسم السادس عشر مــن الدســتور العقائــدي في الكنيسة الذي أصدره الفاتيكان وهو ما يخص الإسلام يجد كما يقــول أليكــسي جوار فسكي في كتابه الإسلام والمسيحية عن هذا الدستور: (إنه صرّح بــتحفظ، وأشار من بعيد إلى وضع الإسلام فيما يتعلق بالتقليد التوراتي وبالوحي، وقد ورد في الدستور عن المسلمين: "أبناء إسماعيل الذين يعترفون بأبيهم ويؤمنون بإلهه، وهم ليسوا غرباء عن الوحي الذي نزل على الأنبياء" وقد امتنع المجمع – أي الذي صاغ الدستور– عن الإشارة القاطعة والصريحة إلى اتباع المسلمين ملة إبراهيم، واستعاض عنها بعبارة وصفيّة تتحدث عن المسلمين الذين يعتقــدون أنهــم يتبعــون ملــة إبراهيم.... إلى أن قال: كما عدّل المجمع في النص المذكور الذي كان يــشير إلى التواصل بين التقليد التوراتي والإسلامي بحيث أصبح التركيز يدور حول الــسمة التوحيدية للدين الإسلامي باعتبار أنه أول دين من هذا القبيل (توحيدي) خــارج الديانتين اليهودية والنصرانية).[13] فلينظر القارئ كيف لم يقبل المجمع أن يعتــبر المسلمين من أتباع الأنبياء؛ وإنما وصفهم وصفا أي أنهم يعتقدون أنهم من أتباعهم؛ بينما المجمع لا يعتبرهم، وانظر أيضا كيف اعتبر الإسلام أول دين توحيدي يقبــل من خارج اليهودية والنصرانية.

---

(13) الإسلام والمسيحية ١٤٥-١٤٧.

سبحان الله أهذا ما يطمع فيه المخذولون أن يعتبرنا المثلثة وعباد العجل أول دين توحيدي من خارج أديانهم، وهم الذين نظمهم الله في قوله وقوله أصدق القول: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ التوبة ٣٠. بينما كثير منهم – هم في حقيقة أنفسهم – يعلمون أننا على الحق يقول جورج بيترز في ورقته التي بعنوان (نظرة شاملة عن إرساليات التنصير العاملة وسط المسلمين) التي قدمها للمؤتمر التنصيري الذي عُقد في ولاية كلورادو عام ١٩٧٨م في أمريكا: (إنني أميل إلى الاتفاق مع فاندر وزويمر وفريتاك وآخرين فيما ذهبوا إليه من أن الإسلام حركة دينية معادية للنصرانية، ومخططة تخطيطا يفوق قدرة البشر لمقاومة إنجيل ربنا يسوع المسيح، إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تُناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية، وترفض بكل وضوح موثوقية وصحة الأناجيل، وأبوة الرب وأن المسيح ابنه.... وفي ذات الوقت فالنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيا وسياسيا ويفوق في ذلك النظام الشيوعي).(١٤)

وليس الهدف من هذا البحث جمع العبارات التي قالها أصحابها في هذا الشأن، ولا تحديد المواقف المخالفة لسبيل المؤمنين، وليس الهدف منه استقصاء البحث في هذه المسائل المتعلقة بهذا الموضوع؛ لأن أبحاث العلماء المختصين ومصنفاتهم في هذا الشأن مستفيضة؛ وإنما الهدف بيان الحق ودفع الشبهة، وليس هذا البحث ردة فعل تجاه قولهم؛ بل إحقاق للحق الذي تضافر عليه المرسلون، واتفقت عليه كلمة الكتب الإلهية، ولن يكون هذا البحث – أيضا – من قبيل تأجيج الصراع، ولا إذكاء نار العداوة بين المسلمين والنصارى؛ لكن الهدف إيضاح الحقيقة لئلا تتميع

---

(14) التنصير خطة لغزو العالم ٥٦٦.

ثوابت راسخة، وتضمحل عقائد إيمانية جاء الوحي ببيانها والتوكيد عليها، ولـئلا يقع المسلم في مخالفات شرعية إذا طمست هذه الحقائق، من مثل الإعـراض عـن دعوتهم إذا قيل له إنهم على الهدى، وأن مصيرهم إلى جنات ونهر، ومن مثـل أن يتزوج الكتابي المسلمة، ومثل أن يذهب الولاء والبراء، وتندرس الموالاة والمعـاداة الشرعية المطلوبة التي لا يقع بموجبها اعتداء ولا ظلم، إنما الظلم والاعتداء يقعـان بسبب الجهل بها وبلوازمها.

وليس هذا البحث من باب التكرار، ولا من قبيل تسويد الصفحات؛ لأنه حديث عن الشرك في النصرانية، ولكن رغبة في أن نبين إخبار القرآن والسنة عن حالهم، ثم أذكر حقيقة واقعهم، وأنهم يعتقدون هذه العقائد الشركية - كما أخـبر عنـهم القرآن - وقد رأيت أن أجعل كل قسم في مبحث خاص لئلا يظن أنـي أتزيـد عليهم أو أنسب إليهم ما لا يعتقدونه.

ثانيا: حقيقة الشرك

ومن أجل أن نتبين حقيقة الشرك ينبغي أن نذكر طرفا من تعريفات أهـل اللغـة وملحا من التعريفات الشرعية للشرك، ونبدأ بالتعريفات اللغوية قال ابن منظور في لسان العرب: شركٌ الشركة والشَركة سواء مخالطة الشريكين، يقال اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان و تشاركا و شارك أحدهما الآخر.

وأشرك بالله جعل له شريكا في ملكه، تعالى الله عن ذلك، والاسم الشرك، قال الله تعالى حكاية عن عبده لقمان أنه قال لابنه: ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم

عظيم﴾ لقمان، ١٣. والشرك: أن تجعل شريكا في ربوبيته تعالى الله عن الشركاء والأنداد؛ لأن الله وحده لا شريك له ولا ند له ولا نديد.[١٥]

وقال الفيروز أبادي: الشرك والشركة بكسرهما وضم الثاني بمعنى، وقد اشتركا وتشاركا وشارك أحدهما الآخر، وأشرك بالله كفر فهو مشرك، والاسم الشرك فيهم.[١٦]

وبعد ذكر هذه التعريفات اللغوية نورد بعض ما قاله علماء العقيدة في هذا الباب، قال حافظ الحكمي في تعريف الشرك: هو اتخاذ العبد غير الله ندا من دون الله.[١٧]

وكما أن التوحيد أنواع، فكذلك ضده وهو الشرك ينقسم إلى أنواع، قال الشيخ سليمان بن محمد بن عبد الوهاب موضحا أقسام الشرك: (فاعلم أن الشرك ينقسم ثلاثة أقسام بالنسبة إلى أنواع التوحيد، وكل منها قد يكون أكبر وأصغر مطلقا، وقد يكون أكبر بالنسبة إلى ما هو أصغر منه، ويكون أصغر بالنسبة إلى ما هو أكبر منه). ثم ذكر رحمه الله أقسامه الثلاثة وأنواع كل قسم.[١٨]

ولا يتوقف الشرك على أن يعْدَل المرء أحدا بالله تعالى من كل وجه، بل الشرك أعم من ذلك بل حقيقة الشرك كما قال الدهلوي: الشرك أن يأتي الإنسان بخلال وأعمالٍ خصها اللّه بذاته العلية، وجعلها شعاراً للعبودية - لأحد من الناس، كالسجود لأحد، والذبح باسمه، والنذر له، والاستغاثة به في الشدة، واعتقاد أنه حاضر ناظر في كل مكان، وإثبات قدرة التصرف له، وكل ذلك يثبت به الشرك،

---

(15) لسان العرب، مادة شرك، ٤٤٩/١٠ – ٤٥٠.

(16) القاموس المحيط مادة شرك ١٢٢٠/١.

(17) معارج القبول ٤٨٢/٢. وانظر شرح قصيدة ابن القيم ٣٦٦/٢.

(18) شرح كتاب التوحيد ٢٨/١. وانظر معارج القبول ٤٥٩/٢. وانظر شرح قصيدة ابن القيم ٢٦٨/٢- ٢٦٩.

ويصبح الإنسان به مشركا، وإن كان يعتقد أن هذا الإنسان، أو الملك أو الجني الذي يسجد له، أو يذبح، أو ينذر له، أو يستغيث به، أقل من اللّه شأنا، وأصغر منه مكانا، وأن اللّه هو الخالق، وهذا عبده وخلقه، لا فرق في ذلك بين الأولياء والأنبياء، والجن والشياطين، والعفاريت، والجنيات، فمن عاملها هذه المعاملة كان مشركا، لذلك وصف اللّه اليهود والنصارى، الذين غلوا في أحبارهم ورهبانهم، مثل ما غلا المشركون في آلهتهم بما وصف به عباد الأوثان والمشركين، وغضب على هؤلاء الغلاة المنحرفين، كما غضب على غلاة المشركين، فقال: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التوبة ٣١. [١٩]

وليس الشرك هو مجرد أن يطلق على هذه المعبودات الأسماء، ويخلع عليها الألقاب؛ بل الشرك أنْ يعتقد أنها تنفع وتضر من دون الله، أو أن الله منحها حق النفع والضر والتصرف في هذا الكون، وهذا هو حقيقة شرك المشركين الوثنيين، وهو أيضا حقيقة شرك النصارى ومن شاكلهم في عبادتهم للمسيح وللروح القدس، وتعظيمهم للأحبار والرهبان، قال أبو سعيد عبد الرحمن النيسابوري: (إذْ ليس الشرك هو مجرد إطلاق بعض الأسماء على بعض المسميات؛ بل الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئا يختص به سبحانه، سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية، أو أطلق عليه اسما آخر، فلا اعتبار بالاسم قط. من لم يعرف هذا فهو جاهل لا يستحق أن يخاطب بما يخاطب به أهل العلم، وقد عَلِم كل عالم أن عبادة

---

(19) رسالة التوحيد للدهلوي ٣٦.

الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها واعتقاد أنها تضر وتنفع، والاستغاثة بها عند الحاجة، والتقريب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم).[٢٠]

ثالثا: عِظَم ذنب الشركِ وشدة وعيده

الآيات والأحاديث الدالة على شناعة الشرك وعظم الوعيد عليه أكثر من أن تحصر، إذ أن الشرك أعظم ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، كما أن التوحيد أعظم ما أمر الله به ورسوله ﷺ ، بل كل رسول دعا قومه إلى التوحيد، وحذرهم من الشرك، وهذا مبتدأ دعوة كل رسول، وإذا أمر الله بأوامر جعل أولها الأمر بتوحيده، وإذا نهى عن مناهٍ جعل أول ما ينهى عنه الشرك كما في آية النساء وآية الفرقان وآية الأنعام، وأوحى الله إلى نبيه ﷺ كما أوحى إلى سائر الأنبياء السابقين أن الشرك يحبط جميع العمل، قال جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الزمر٦٥. ومن شناعة الشرك أن جميع الذنوب تحت مشيئة الله إلا الشرك فإن الله لا يغفره لمن مات عليه ولم يتب منه قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ النساء ٤٨.

وهذا الذنب هو أعظم ذنب عُصيَ الله به، وفي الحديث الصحيح عن عبد الله قال سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: (أن تجعل لله ندا وهو خلقك. قلت: إن ذلك لعظيم)[٢١] ولذا أشفقت السموات والأرض منه، وكادت أن تنفطر، قال تعالى مخبرا عن حال السموات والأرض حينما نسب البشرُ الولد إلى

---

(20) الغنية عن الكلام وأهله ٣٤/١.

(21) متفق عليه، صحيح البخاري ١٦٢٦/٤، وصحيح مسلم ٩٠/١.

الله: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا. لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا. تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا. أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا. وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا. إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ مريم،٨٨–٩٣. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأما المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله فأعظمه الشرك بالله، وهو أن يدعو مع الله إلها آخر).[٢٢]

وهذا الذنب مما أجمعت الرسل عليهم الصلاة والسلام على تحريمه والتحذير منه، كما أخبر الله عن ذلك في محكم تنزيله، كما في قوله عن عيسى عليه السلام أنه مصدق لما بين يديه من التوراة التي تأمر بالوحدانية، وتحرم الشرك: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ آل عمران ٥٠-٥١.

وفي التوراة والإنجيل من النصوص ما لا يحصى مما يحرم الشرك ويؤكد على أهمية التوحيد سواء مما أخبر الله عنه في القرآن، أو مما هو موجود اليوم بأيديهم مما يعتقدون أنه من نصوص التوراة والإنجيل ولا تزال كثير من هذه النصوص أو معانيها باقية إلى اليوم فمن ذلك ما جاء في سفر التثنية: (وَلاَ تَعْبُدْ آلِهَتَهُمْ، لأَنَّ ذلِكَ شَرَكٌ لَكَ) التثنية ٧: ١٧. وفي سفر الخروج ما يؤكد هذا المعنى: (ثُمَّ تَكَلَّمَ اللهُ بِجَمِيعِ هذه الْكَلِمَاتِ قَائِلاً: ٢«أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. ٣لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. ٤لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ

(22) مجموع الفتاوى ٣/ ٤٢٤.

مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. ٥لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنا الرَّبَّ إِلَهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ) الخروج ٢٠: ١-٥.

وفي الإنجيل الذي يعتقد أهله ببنوة المسيح عليه السلام نجد النص التالي الذي يؤسس للوحدانية، ويحرم الشرك: (فَأَجَابَهُ يَسُوعُ وَقَالَ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! إِنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ). لوقا ٤: ٨.

وفي رسالة بولس أيضا: (وَأَمَّا الْوَسِيطُ فَلاَ يَكُونُ لِوَاحِدٍ. وَلكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ).رسالة بولس إلى غلاطية٣، ٣: ٢٠.

إذاً تواطأ القرآن والسنة وما بقي بأيدي أهل الكتاب من أثارةٍ من علم على تحريم الشرك والتنديد به، وتحريمه واعتباره مخالفا لدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وفيما يلي سنقف مع مظاهر وصورٍ من صور الشرك التي تتضمنها الديانة النصرانية، وأنكرها القرآن ونعى على أهلها اعتقادها والتدين بها. وهذا ما سنراه في المبحث التالي الذي تضمن إخبار القرآن عنهم أنهم يعتقدون عقائد شركية كالقول بأن المسيح عليه السلام ابن الله، وكقولهم بالتثليث، واتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا من دون الله، وتعظيم القبور والصور وعبادتها.

المبحث الأول

مظاهر الشرك في النصرانية كما وردت في القرآن والسنة

المطلب الأول: قولهم المسيح ابن الله

جاء المسيح عليه السلام على غير مثال سابق، فتجاوزت بـه النصرانية الحـد، وزعمت أنه ابن الله، وأن الله سبحانه وتعالى أنزل ابنه ليتحد في بطن مريم عليها السلام في جسد المسيح عيسى ابن مريم، فخرج الغلام وهو إله تام وبشر تام، وعاش بين الناس ببشريته وألوهيته، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وهذا الزعم من النصرانية سبقهم إلى مثله اليهود؛ مشابهة للذين كفروا من قبل، قال الله تعالى جده وتبارك اسمه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ التوبة، ٣٠. وأبطل القرآن هذا الاعتقاد ببراهين كثيرة وحجج دامغة، من مثل قوله عز شأنه وتعالى سلطانه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ. عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ المؤمنون، ٩١، ٩٢. فتره سبحانه نفسه عن هـذا الشرك الذي افتراه عليه المفترون، وأخبر سبحانه وتعالى أن هـذا الأمـر المنكـر أشفقت منه السموات والأرض وكادت تتفطر قال تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا. أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ مريم ٩٠، ٩١.

وأخبر سبحانه وتعالى أن المسيح عليه السلام حذّر قومه من الشرك، وبـين لهـم سـوء عاقبته، وأن مصير المشرك النار، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ

اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾. المائدة،٧٢.

ومن الأدلة التي أبطل الله بها هذا الاعتقاد قوله جل ثناؤه: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ ﴾ المائدة،٧٥. قال ابن جرير رحمه الله: (وقوله ﴿كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ خبر من الله تعالى ذكره عن المسيح وأمه أنهما كانا أهل حاجة إلى ما يغذوهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بني آدم، فإن من كان كذلك فغير كائن إلها؛ لأن المحتاج إلى الغذاء قوامُه بغيره، وفي قوامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه دليل واضح على عجزه، والعاجز لا يكون إلا مربوبا لا ربا). [٢٣]

ومن الأدلة أيضا قوله جل جلاله: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الأنعام،١٠١.

فتضمنت هذه الآية - رغم قصر مبناها – على أربعة براهين:

الأول: أنه بديع السموات والأرض ومن أبدعهما على غير مثال سابق فلا يلزم منه أن يكون المسيح ابنا له لأنه ولد على غير مثال سابق.

الثاني: أنه ليس له صاحبة، ومن ليس له صاحبة فكيف يكون له ولد؟

الثالث: أنه خلق كل شيء، ومن خلق كل شيء فليس بحاجة أن يتخذ المسيح ولدا؛ لأنه خُلق من غير أب، بل هو الخلاق العليم.

الرابع: أنه بكل شيء عليم ومن كانت هذه صفته فهو غني عن الولد لكمال علمه وحكمته.

---

(23) جامع البيان٦/٣١٤.

وقال ابن جرير رحمه الله عند تفسير هذه الآية: (هو الذي ابتدع خلقهما جل جلاله فخلقهما ولم تكونا شيئا قبله، أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة، والولد إنما يكون من الذكر ومن الأنثى، ولا ينبغي أن يكون لله سبحانه صاحبة، فيكـــون له ولد، وذلك أنه هو الذي خلق كل شيء، يقول فإذا كان لا شيء إلا الله خَلَقَه فأنى يكون لله ولد ولم تكن له صاحبة، فيكون له منها ولد).[٢٤]

ووصف الله تعالى ببديع السماوات والأرض مراد به أنه بديع السماوات والأرض من المخلوقات، وفي هذا الوصف استدلال على نفي بنوة من جعلوه ابنا لله تعالى؛ لأنه تعالى لما كان خالق السماوات والأرض وما فيهما، فلا شـــيء مـــن تلـــك الموجودات أهل لأن يكون ولدا له، بل جميع ما بينهما عبيد لله تعالى كما تقدم في قوله: ﴿ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾البقرة،١١٦. ولهذا رتب نفي الولـــد على كونه بديع السماوات والأرض).[٢٥]

وهذا الافتراء منهم كما أنه مناقض لكماله وحكمته سبحاه فهو شتم لله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ففي الصحيح عن بن عباس رضي الله عنهما عن الـــنبي ﷺ قال: (قال الله: كذبني بن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأمـــا تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله لي ولد. فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا).[٢٦]

وقد حكم الله بالكفر على من اعتقد هذا الاعتقاد فقال جل من قائل: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾المائدة، ٧٢.

---

(24) جامع البيان، ٢٩٨/٧.

(25) تفسير التحرير والتنوير١/ ٦٦٩.

(26) صحيح البخاري، ١٦٢٩/٤ .

المطلب الثاني: قولهم بالتثليث

تعتقد النصرانية أن الله ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، ولا شك أن هذا الاعتقاد شرك بالله العظيم، لأنه يتضمن اعتقاد أن الله له شريك في ربوبيته وألوهيته، وهؤلاء الشركاء هم: المسيح وأمه، على قول، والمسيح والروح القدس أو الكلمة على قول آخر، وقد أنكر الله عليهم هذا القول ودعاهم إلى تركه، وقول ما هو خير منه، وهو اعتقاد الوحدانية قال جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ النساء،١٧١. قال الإمام ابن جرير: (ثم قال لهم جل ثناؤه - متوعدا لهم في قولهم العظيم الذي قالوه في الله - انتهوا أيها القائلون: الله ثالث ثلاثة. عما تقولون من الزور والشرك بالله؛ فإن الانتهاء عن ذلك خير لكم من قيْله؛ لما لكم عند الله من العقاب العاجل لكم على قيلكم ذلك، إن أقمتم عليه ولم تنيبوا إلى الحق الذي أمرتكم بالإنابة إليه، والآجل في معادكم).[٢٧] وقال ابن كثير: (ولهذا قال تعالى: (ولا تقولوا ثلاثة) أي لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا).[٢٨]

وعدّ الله القول بثلاثة آلهة كفرا عظيما وكفّر قائله قال سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ المائدة٧٣. قال ابن كثير: (فقيل

(27) جامع البيان ٦/٣٧.

(28) تفسير القرآن العظيم١/٥٩١.

المراد بذلك كفارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة، وهو أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، قال بن جرير وغيره: والطوائف الثلاثة من الملكية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم، وهم مختلفون فيها اختلافا متباينا ليس هذا موضع بسطه، وكل فرقة منهم تكفر الأخرى، والحق أن الثلاثة كافرة).[٢٩]

وهذه المسألة تناولها جل من نقد النصرانية من علماء المسلمين ومن الباحثين الغربيين، وقدموا من الأدلة والبراهين ما يكفي ويشفي لمن طلب الهداية، ورام الحق، فمن ذلك ما أورده شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من قوله: (قالوا فمن أجل هذا البيان الواضح الذي قاله الله في التوراة وفي كتب الأنبياء — أي صراحة الدعوة إلى التوحيد، والتنديد بالشرك - نجعل ثلاثة أقانيم جوهرا واحدا، إلها واحدا، خالقا واحدا، وهو الذي نقوله: أب وابن وروح قدس والجواب من وجوه:

أحدها: أن في التوراة والكتب الإلهية من إثبات وحدانية الله ونفي تعدد الآلهة ونفي إلهية ما سواه ما هو صريح في إبطال قول النصارى ونحوهم، وليس فيها ذكر الأقانيم لا لفظا ولا معنى، حيث يجعلون الأقنوم اسما للذات مع الصفة، والذات واحدة، والتعدد في الصفات لا في الذات، ولا يمكن أن تتحد صفة دون الأخرى، ولا دون الذات فيمتنع اتحاد أقنوم أو حلوله بشيء من المخلوقات دون الأقنوم الآخر، ولا إثبات ثلاثة أقانيم،

---

(29) تفسير القرآن العظيم٢/٨٢. وانظر مفاتيح الغيب ١٢/ ٥٠. وانظر تفسير التحرير والتنوير ٢٨٢/٤، أي الطوائف الثلاث: اليعقوبية والملكانية والنسطورية، وهذه أسماء الطوائف الكبرى في النصرانية قديما، وحل محلها اليوم: الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت.

ولا إثبات ثلاث صفات دون ما سواها في شيء من الكتب الإلهية، ولا كلام الحواريين، ولا إثبات إله حق من إله حق، ولا تسمية صفات الله مثل كلامه وحياته لا ابنا ولا إلها ولا ربا، بل جميع ما أثبتوه من التثليث والحلول والاتحاد ليس في كتب الأنبياء التي بأيديهم ما يدل عليه؛ بل فيها أقوال كثيرة صريحة بنقيض ذلك، مع القرآن والعقل فهم مخالفون للمعقول وكتب الله المنزلة.

الثاني: أنهم يقولون إنما نثبت إلها واحدا ثم يقولون في أمانتهم وأدلتهم وغير ذلك من كلامهم ما هو صريح بإثبات ثلاثة آلهة؛ فينقضون كلامهم بعضه ببعض، ويقولون من الأقوال المتناقضة ما يعلم بطلانه كل عاقل تصوره.

الوجه الثالث: قولهم وهو الذي نقوله أب وابن وروح القدس. قد تقدم أن هذا القول هم معترفون بأنهم لم يقولوه ابتداء، ولا علموا بالعقل التثليث الذي قالوه في أمانتهم ثم عبروا عنه بهذه العبارة، بل هذه العبارة منقولة عندهم في بعض الأناجيل أن المسيح عليه الصلاة والسلام أمر أن يعمّدوا الناس بها، وحينئذ فالواجب إذا كان المسيح قالها أن ينظر ما أراد بها، وينظر سائر ألفاظه ومعانيها، فيفسر كلامه بلغته التي تكلم بها تفسيرا يناسب سائر كلامه).[٣٠] وكذلك أورد عبد الله الترجمان - الذي كان

(30) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ٣/ ٤٧٠ - ٤٧١، وانظر كذلك الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، ص ٨٧.

نصرانيا ثم أسلم – عددا من البراهين على ذلك.[31] فنظرها هنالك غير مأمور تجد فيها براهين مقنعة لمن قصد الحق.

ومع كل ذلك فتجتهد النصرانية بذكر التوحيد بجوار التثليث، أو يجتهد بعضهم في بيان أنه لا منافاة بينهما ولعل الذي دفعهم إلى ذلك هو اعتبار التوراة كتابا مقدسا عندهم، وهي تصرح بالتوحيد، وتدعو إليه، وتحث عليه، وتندد بالشرك، وتنهى عنه بكل صوره وأشكاله، وتدعو إلى البراءة من الشرك والمشركين أينما كانوا، وحيثما ثقفوا، وتجدهم يجتهدون أولا في أن يستنبطوا من نصوصها ما يحملونه على الإشارة إلى التثليث كعبارة كلمة الله، أو عبارة الروح القدس، أو عبارة صيغة الجمع الواردة في بعض الألفاظ.

وثانيا: يحاولون أن يرجعوا التثليث إلى الوحدانية؛ لتلتقي التوراة والإنجيل، فيقربوا التوراة بتحميل عباراتها ملا تحتمل، ويقربوا عقائدهم من التوراة بتضمين ثالوثهم معنى التوحيد، وإن كان هو لا يحتمل، ولعل مرد ذلك إلى محاولتهم التوفيق بين الفلسفة الرومانية الوثنية والتوراة اليهودية والإنجيل المحرف، والواقع المنحرف ومحاولة إضفاء صبغة التوحيد على كل هذه الأمشاج التي لا تجتمع ولا تدل على التوحيد، لا من قريب ولا من بعيد، بل ظاهرها التجسد والشرك والوثنية.[32]

ويتفق شارل جنيبير مع محمد أبو زهرة في الأصل الفلسفي والوثني لهذه العقيدة، وأن اليونانيين الذين دخلوا في النصرانية في عهودها الأولى لم يتخلوا عن فلسفتهم ووثنيتهم، ولم يتناسوها، وإنما حاولوا التوفيق بينهما فنشأت في الديانة النصرانية العقائد الضالة ذات الأصل الفلسفي الوثني.[33]

(31) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، ١٣٩ – ١٤٩ .

(32) بتصرف من كتاب محاضرات في النصرانية، ص ١٢٦.

(33) المسيحية نشأتها وتطورها ، شار جنيبير، ص ١٩٦.

المطلب الثالث: اتخاذ الأحبار أربابا من دون الله

لم يقتصر الغلو في الديانة النصرانية على المسيح عليه السلام بل تجاوز النصارى الحد في أحبارهم ورهبانهم، حتى صرفوا لهم ما هو خالص حق الله تعالى، فقبلوا منهم أن يحلوا لهم الحرام، ويحرموا عليهم الحلال، ويغفروا لهم الذنوب قال تعالى مخبرا عن هذه المنزلة التي تقحمها أحبار النصارى ورؤساؤهم: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُون﴾ التوبة،٣١.

قال الرازي في تفسيره: (واعلم أنه تعالى وصف اليهود والنصارى بضرب آخر من الشرك بقوله: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أَرْبَابًا مِّن دُونِ الله والمسيح ابن مَرْيَمَ وَمَا أمروا إلا لِيَعْبُدوا إلها وَاحِداً﴾ ثم قال وفي الآية مسائل:

المسألة الثانية: الأكثرون من المفسرين قالوا: ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا فيهم أنهم آلهة العالم، بل المراد أنهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم، نقل أن عدي بن حاتم كان نصرانياً فانتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يقرأ سورة براءة، فوصل إلى هذه الآية، قال: فقلت: لسنا نعبدهم فقال: (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه) فقلت: بلى قال: (فتلك عبادتهم)[٣٤] .....ثم قال: ﴿لاَّ إله إِلاَّ هُوَ سبحانه عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي سبحانه من أن يكون له شريك في الأمر والتكليف، وأن يكون له شريك في كونه مسجوداً ومعبوداً، وأن يكون له شريك في وجوب نهاية التعظيم والإجلال.[٣٥]

(34) والحديث أخرجه الترمذي في سننه ٢٧٨/٥، والبيهقي في السنن الكبرى ١١٦/١٠، والطبراني في المعجم الكبير ١٧/ ٩٢.

(35) التفسير الكبير١٦/٣٠.

وقال ابن عاشور: (ومعنى اتّخاذهم هؤلاء أرباباً أنّ اليهود ادّعوا لبعضهم بنوةَ الله تعالى وذلك تأليه، وأنّ النصارى أشدّ منهم في ذلك؛ إذ كانوا يسجدون لصور عظماء ملّتهم مثل صورة مريم، وصور الحواريين، وصورة يحيى بن زكريا، والسجود من شعار الربوبية، وكانوا يستنصرون بهم في حروبهم ولا يستنصرون بالله.

وهذا حال كثير من طوائفهم وفرقهم، ولأنّهم كانوا يأخذون بأقْوال أحبارهم ورهبانهم المخالفة لما هو معلوم بالضرورة أنّه من الدين، فكانوا يعتقدون أنّ أحبارهم ورهبانهم يحلّلون ما حرم الله، ويحرّمون ما أحلّ الله، وهذا مطرد في جميع أهل الدينين، ولذلك أفحم به النبيُ صلى الله عليه وسلم عديا بنَ حاتم لّما وفد عليه قُبيل إسلامه... فحصل من مجموع أقوال اليهود والنصارى أنّهم جعلوا لبعض أحبارهم ورهبانهم مرتبة الربوبية في اعتقادهم، فكانت الشناعة لازمة للأمتين، ولو كان من بينهم من لم يقل بمقالهم كما زعم عدي بن حاتم، فإنّ الأمّة تؤاخذ بما يصدر من أفرادها إذا أقرته ولم تنكره، ومعنى اتّخاذهم أرباباً من دون الله أنّهم اتّخذوهم أرباباً دون أن يفردوا الله بالوحدانية، وتخصيص المسيح بالذكر لأنّ تأليه النصارى إياه أشنع وأشهر.

إلى أن قال: وجملة ﴿سبحانه عما يشركون﴾ مستأنفة لقصد التتريه والتبرّىء ممّا افتروا على الله تعالى، ولذلك سمي ذلك إشراكاً).[٣٦]

ولما وفدَ وفدُ نصارى نجران على الرسول ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام، وأبوا قبول الحق الذي جاء به ﷺ[٣٧]؛ أنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ

---

(36) التحرير والتنوير ١٠/١٧٠.

(37) انظر خبر نصارى نجران في صحيح البخاري ٤/١٥٩٢.

سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ سورة آل عمران ٦٤. فدعاهم إلى الوحدانية، وحذرهم من أن يشركوا بالله شيئا، أو أن يتخذوا من دونه أندادا، وبين الرازي رحمه الله لماذا جاء التنصيص على هذه الثلاثة: عبادة الله، وتحريم الشرك، ومنع اتخاذ الأرباب من دون الله، فقال: (وإنما ذكر هذه الثلاثة لأن النصارى جمعوا بين هذه الثلاثة: فيعبدون غير الله وهو المسيح، ويشركون به غيره وذلك لأنهم يقولون إنه ثلاثة: أب وابن وروح القدس. ...، وأما إنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فيدل عليه وجوه:

أحدها: إنهم كانوا يطيعونهم في التحليل والتحريم. والثاني: إنهم كانوا يسجدون لأحبارهم، والثالث: قال أبو مسلم: من مذهبهم أن من صار كاملاً في الرياضة والمجاهدة يظهر فيه أثر حلول اللاهوت، فيقدر على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، فهم وإن لم يطلقوا عليه لفظ الرب إلا أنهم أثبتوا في حقه معنى الربوبية، والرابع: هو أنهم كانوا يطيعون أحبارهم في المعاصي، ولا معنى للربوبية إلا ذلك، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتخذ إلهه هَوَاهُ﴾ الجاثية،٢٣، فثبت أن النصارى جمعوا بين هذه الأمور الثلاثة، وكان القول ببطلان هذه الأمور الثلاثة كالأمر المتفق عليه بين جمهور العقلاء وذلك لأن قبل المسيح ما كان المعبود إلا الله، فوجب أن يبقى الأمر بعد ظهور المسيح على هذا الوجه، وأيضاً القول بالشركة باطل باتفاق الكل، وأيضاً إذا كان الخالق والمنعم بجميع النعم هو الله، وجب أن لا يُرجع في التحليل والتحريم والانقياد والطاعة إلا إليه، دون الأحبار والرهبان).[٣٨]

(38) التفسير الكبير ٧٧/٨.

وقال القرطبي رحمه الله في تفسيره عند آية آل عمران قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ﴾ أي لا نتبعه في تحليل شيء أو تحريمه إلا فيما حلله الله تعالى. وهو نظير قوله تعالى: ﴿اتخذوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ﴾ التوبة٣١، معناه: أنهم أنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله و لم يحله الله.[٣٩]

المطلب الرابع: اتخاذ القبور مساجد وتعليق الصور عليها

من أجل أن يعبد الله وحده لا شريك له، فقد قطع سبحانه كل وسيلة توصل إلى الشرك، وحرم كل عمل يفضي إليه، فحرم الغلو في الصالحين ورفع قبورهم وتعليق صورهم؛ لئلا يُعبدوا من دون الله، وهذا الغلو هو أول وسيلة أوصلت البشر إلى الشرك، بل هو أول باب ولج منه الشيطان إلى إغواء العباد بالشرك، وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في خبر آلهة قوم نوح فقال: (هي أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم عبدت).[٤٠] وقال تعالى مخبرا عن هذا الإفك العظيم: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ نوح،٢٣.

وهذا الضلال انتقل إلى النصرانية كما انتقل إليها غيره من أدواء الأمم السابقة؛ فعظمت النصارى أحبارهم ورهبانهم ورفعوهم فوق منزلتهم في حال حياتهم، حتى إذا ماتوا رفعوا قبورهم وصوروا صورهم وعلقوها في كنائسهم، ففي الصحيح عن

---

(39) الجامع لأحكام القرآن ١٦٢/٥.

(40) صحيح البخاري١٨٧٣/٤.

جندب رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا، كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك)[41].

وفي الصحيح أيضا عن هشام قال أخبرني أبي عن عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبي ﷺ، فقال: إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة).[42]

وقد اشتد غضبه ﷺ على هؤلاء فدعا عليهم فعن عائشة وعبد الله بن عباس قالا لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا).[43]

وبوّب البخاري في صحيحه فقال: باب الصلاة في البيعة وقال عمر رضي الله عنه إنا لا ندخل كنائسكم من أجل التماثيل التي فيها الصور.[44]

كل ذلك يؤكد أن النصرانية تتخذ من قبور أنبيائها مساجد، وتصوّر معظميها وتجعلها في معابدها وكنائسها، ولاشك أن في هذا مضاهاة لفعل المشركين الأوَل

---

(41) صحيح مسلم ١/٣٧٧.

(42) صحيح البخاري ١/١٦٥. وصحيح مسلم ١| ٣٧٥.

(43) صحيح البخاري١/١٦٨. وصحيح مسلم ١/٣٧٧.

(44) صحيح البخاري١/١٦٧.

من قوم نوح عليه السلام، واتخاذ القبور معابد يعبد الله فيها وسيلة إلى الشرك، وكذلك تصوير الصالحين ووضع صورهم في المعابد يفضي إلى الشرك، بل النصرانية تشرك بالله في عبادتها لهؤلاء كما سيأتي في المبحث الثاني، إن شاء الله.

والنصارى في عملهم هذا مخالفون لكتابهم المعتمد ففي التوراة- وهم يقدسونها-: (لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. ٥لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ) الخروج،٢٠.

وفيها أيضا (لاَ تَصْنَعُوا لَكُمْ أَوْثَانًا، وَلاَ تُقِيمُوا لَكُمْ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا أَوْ نَصَبًا، وَلاَ تَجْعَلُوا فِي أَرْضِكُمْ حَجَرًا مُصَوَّرًا لِتَسْجُدُوا لَهُ. لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ). اللاويين ٢٦.[٤٥]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ففي التوراة أن موسى عليه السلام نهى بني إسرائيل عن دعاء الأموات وغير ذلك من الشرك، وذكر أن ذلك من أسباب عقوبة الله لمن فعله، وذلك أن دين الأنبياء عليهم السلام واحد وإن تنوعت شرائعهم).[٤٦]

وقال ابن عاشور عند قوله: (اتخذوا أحبارهم أربابا) موضحا أن تصويرهم وعبادتهم هو من اتخاذهم أربابا: (ومعنى اتّخاذهم هؤلاء أرباباً أنّ اليهود ادّعوا لبعضهم بنوةَ الله تعالى وذلك تأليه، وأنّ النصارى أشدّ منهم في ذلك؛ إذ كانوا يسجدون لصور عظماء ملّتهم مثل صورة مريم، وصور الحواريين، وصورة يحيى بن زكريا، والسجود من شعار الربوبية).[٤٧]

---

(45) انظر الجواب الصحيح ٣/٦٠.

(46) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/٣٥٧، وانظر الرد على الأخنائي١/٦١.

(47) التحرير والتنوير ١٠/١٧٠.

المطلب الخامس: وصف الديانة النصرانية بالشرك في الكتاب والسنة

الكتاب والسنة هما الحق الذي لا يحيد، والميزان الذي لا يظلم، والمعيار الذي لا يحابي؛ لأنهما وحي الله وخبره وحكمه بين عباده، فإذا حكم الوحي على أمر بأنه شرك فلا قول لأحد من الخلق كائنا من كان أن يصحح ما حكم الشرع ببطلانه، وإذا أخبر الله عن أمة أنها مشركة أو كافرة فلا ينفعها ولو تواطأ أهل الأرض كلهم على توثيقها وتعديلها.

والديانة النصرانية ديانة في أصلها ديانة إلهية جاء بها نبي من أولي العزم وهو المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ولكنها مرت بعده بأطوار نقلتها من كونها ديانة توحيدية إلى أن أصبحت ديانة وثنية شركية تثلث معبودها، وتزعم أن رسولها هو ابن الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، والقرآن كما هو ديدنه يحكم على كل وضع بما يستحقه، فقد حكم على الديانة النصرانية بالشرك ووصم أهلها الذين يعتقدون هذه العقائد الشركية بالمشركين ودعاهم إلى التوحيد، وحذرهم من الشرك، ومع ذلك اعتبرهم أهلَ كتاب لهم أحكام تخصهم.

وقد رد في القرآن والسنة في مواضع متعددة وصف بعض أفعال النصارى وأحوالهم واعتقاداتهم بأنها شرك أو تضاهي أفعال المشركين، وسأذكر طرفا من ذلك يقوم به الشاهد ويغني عن كثرة الاستطراد، فمن ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. البقرة ١٣٥. قال ابن جرير الطبري: (وإنما عنى جل ثناؤه بالمشركين، اليهودَ والنصارَى وسائر الأديان، غير الحنيفية. قال: لم يكن إبراهيم من أهل هذه الأديان المشركة، ولكنه كان حنيفًا مسلمًا. وقال في موطن آخر من تفسيره: وأما قوله:

"وما كانَ مِن المشركين"، يقول: إنه لم يكن ممن يدين بعبادة الأوثان والأصنام، ولا كان من اليهود ولا من النصارى، بل كان حنيفًا مسلمًا)[٤٨]. فابن جرير رحمه الله أطلق الشرك على النصارى لمشابهتهم المشركين في التعلق بالأوثان والأرباب.

ووصف الرازي في تفسيره النصارى بالشرك فقال: أما قوله: (وَمَا كَانَ مِنَ المشركين) ففيه وجوه، أحدها: أنه تنبيه على أن في مذهب اليهود والنصارى شركاء [٤٩] على ما بيناه، لأنه تعالى حكى عن بعض اليهود قولهم: عزير ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله وذلك شرك)[٥٠].

والآيات التي وصف الله فيها النصارى بالشرك كثيرة جدا فتارة يصف النصارى بالشرك لاتخاذهم الأرباب كما في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التوبة،٣١. وتارة يندد بهم لاعتقادهم أن لله ولدا، وينقض ذلك بأبلغ حجة وبرهان، وينزه نفسه عن هذا الشرك، كما في قوله جل ثناؤه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَد وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَه إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَه بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ. عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ المؤمنون﴾ المؤمنون،٩١، ٩٢. وتارة يبين أساس الخلْقة ويحذر من مشابهة المشركين الذين فرقوا دينهم وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ. مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ

---

(48) جامع البيان ١٨/٦، و ١٠٨/٣.

(49) أي اعتقاد شركاء لله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

(50) التفسير الكبير٧٤/٤.

فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ الروم، ٣٠-٣٢. وأخرج ابن جرير بسنده عن بن عباس رضي الله عنهما قوله: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل أن يبعث محمد فتفرقوا فلما بعث محمد أنزل الله إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء، وروى أيضا بسنده هذا المعنى عن الضحاك والسدي وقتادة) [٥١].

وتارة يطالبهم بعبادته وحده ونبذ عبادة ما سواه، قال جل ثناؤه: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران،٦٤. قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله: (أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا) لا وَثَنا، ولا صنما، ولا صليبا، ولا طاغوتا، ولا نارًا، ولا شيئًا، بل نُفْرِدُ العبادة لله وحده لا شريك له) [٥٢].

وفي الصحيح أيضا عن هشام قال أخبرني أبي عن عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا للنبي ﷺ فقال إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) [٥٣].

---

(51) جامع البيان٨/١٠٥، وانظر١٣/١٢٤، و١٦/١٢٩، و٢١/ ٤٢. و٢٥/١٠٣ منه.

(52) تفسير القرآن العظيم١٣٧٢.

(53) صحيح البخاري ١/١٦٥. وصحيح مسلم ١| ٣٧٥.

وفي الحديث الصحيح قال ﷺ مخبرا عما يكون عليه الأمر يوم القيامة: (ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد). متفق عليه (٥٤)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الشرك الذي في النصرانية: (فصار في دينهم من الشرك وتغيير دين الرسل ما غيروا به شريعة الإنجيل، ولهذا التبستْ عند عامتهم شريعة الإنجيل بغيرها، فلا يعرفون ما نسخه المسيح من شريعة التوراة مما أقره، ولا ما شرعه مما أُحدث بعده، فالمسيح لم يأمرهم بتصوير الصور وتعظيمها، ولا دعاء من صورت تلك التماثيل على صورته، ولا أمر بهذا أحد من الأنبياء). (٥٥)

ويقول أندريه نايتون: (ونحن في دراستنا لتاريخ الأديان اليوم لا نستطيع أن ننكر ما بين المسيحية والوثنية من صلات وثيقة وأواصر متينة، بل يلزمنا ويجب علينا أن نبين كيف أن المسيحية هذه تحدرت من الوثنية وصار لهما نسب واحد وأصل مشترك... لم يعد يكفي دارس تاريخ الأديان أن يشير إلى العلاقة الوثيقة بين الوثنية والمسيحية؛ بل ينبغي عليه القول: إننا لا نستطيع أن نفهم مسيحيتنا حق الفهم إذا لم نعرف جذورها الوثنية، فقد كان للوثنية قسط وافر في تطور الدين المسيحي، وهو قسط غير مباشر ولا منظور). (٥٦) ثم قال: (ويجب علينا أن نتذكر دائمًا أن معظم الذين آمنوا بالمسيحية في بداياتها لم يكونوا يهودًا، بل كانوا عبدة أصنام) (٥٧). فإذا كانوا عبدة أصنام ودعاهم أمثال بولس الذي كان يهدف إلى

---

(54) صحيح البخاري٥/١٧٩

(55) الجواب الصحيح٥/٧٣. وانظر أيضا بيان تلبيس الجهمية ١/ ٤٨٢. فقد أطلق عليهم وصف الشرك.

(56) الأصول الوثنية للمسيحية،١٩، ٢٠.

(57) المصدر السابق ص٢١.

صرف الصرانية عن وجهتها فلا يستغرب إن اصطحبوا عقائدهم الوثنية إلى الدين الجديد الذي اعتنقوه، ثم دانوا بها ودعوا إليها ودافعوا عنها.

لكن بقي سؤال مهم: هل يقال عن النصرانية أنها ديانة شركية أم كتابية؟ وهل يقال لأهلها مشركون أم أهل كتاب؟

قال عطية محمد سالم في تكملة كتاب أضواء البيان موضحا هذه المسألة: بعد قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ. رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً. فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ. وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾البينة ١-٤، (ذكر هنا الذين كفروا، ثم جاءت (من)، وجاء بعدها أهل الكتاب والمشركين، مما يشعر بأن وصف الكفر يشمل كلاً من أهل الكتاب والمشركين، كما يشعر مرة أخرى أن المشركين ليسوا من أهل الكتاب لوجود العطف، وأن أهل الكتاب ليسوا من المشركين.

وهذا المبحث معروف عند المتكلمين وعلماء التفسير، واتفقوا على: أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وأن المشركين هم عبدة الأوثان، والكفر بجميع القسمين.

وأهل الكتاب مختص باليهود والنصارى، ولكن الخلاف هل الشرك بجمعهما أيضاً أم لا؟

فبين الفريقين عموم وخصوص، عموم في الكفر وخصوص في أهل الكتاب لليهود والنصارى، وخصوص في المشركين لعَبَدة الأوثان.

ولكن جاءت آيات تدل على أن مسمى الشرك يشمل أهل الكتاب أيضاً: كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ اليهود عُزَيْرٌ ابن الله وَقَالَتْ النصارى المسيح ابن الله ذلك قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الذين كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ الله أنى يُؤْفَكُونَ اتخذوا

أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ الله والمسيح ابن مَرْيَمَ وَمَآ أمروا إِلاَّ ليعبدوا إلها وَاحِداً لاَّ إله إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التوبة ٣٠-٣١. فجعل مقالة كل من اليهود والنصارى إشراكاً. وجاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما منع نكـــاح الكتابية وقال: وهل أكبر إشراكاً من قولها: ﴿ اتخذ الله وَلَداً﴾ البقرة ١١٦، فهــو وإن كان مخالفاً للجمهور في منع الزواج من الكتابيات، إلا أنه اعتبرهن مشركات.

ولهذا الخلاف والاحتمال وقع التراع في مسمى الشرك، هل يشمل أهل الكتاب أم لا؟ مع أننا وجدنا فرقاً في الشرع في معاملة أهل الكتاب ومعاملــة المــشركين.

..فكان بينهما مغايرة في الحكم.

وقد جمع والدنا الشيخ محمد الأمين رحمة الله تعالى علينا وعليه بين تلك النــصوص في دفع إيهام (٥٨) الاضطراب عند قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ اليهود عُزَيْــرٌ ابــن الله ﴾ التوبة٣٠، ذكرها جمعاً مفصلاً مفاده أن الشرك الأكبر المخرج من الملــة أنــواع، وأهل الكتاب متصفون ببعض دون بعض، إلى آخره رحمة الله تعالى علينا وعليه.

ولعل في نفس آية ﴿ وَقَالَتِ اليهود عُزَيْرٌ ابن الله﴾، فيها إشارة إلى ما ذكره رحمة الله تعالى علينا وعليه من وجهين:

الأول: قوله تعالى: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الذين كَفَرُوا﴾ التوبة ٣٠، أي يــشابهونهم في مقالتهم، وهذا القدر اتصف به المشركون من أنواع الشرك.

---

(58) وهو قوله رحمه الله: (فلا ينافي أن يكون أهل الكتاب مشركون بنوع آخر من أنواع الشرك الأكبر وهو طاعة الشيطان والأحبار والرهبان... إلى أن قال: فبان أن أهل الكتاب مشركون من هذا الوجه الشرك الأكبر وإن كانوا خالفوا كفار مكة في صريح عبادة الأوثان والعلم عند الله تعالى). دفع إيهام الاضطراب١٠/ ١٤٥- ١٤٧ المطبوع مع أضواء البيان.

الثاني: تذييل الآية بصيغة المضارع عما يشركون بينما وصف عبدة الأوثان في سورة البينة بالاسم (والمشركين)).[٥٩]

وسئل محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله صاحب أضواء البيان عن أن القرآن فرّق بين المشركين وبين أهل الكتاب، وأورد الآيات التي استدل بها السائل وأورد الإيرادات المحتملة على هذه المسألة ثم قال: (وما تفضلتم بذكره من أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أمر بإلحاق أهل الكتاب بالمشركين في عدم دخول المسجد الحرام فمستنده المسوغ له أن الله جل وعلا صرح في سورة التوبة أن أهل الكتاب من يهود ونصارى من جملة المشركين وإذا جاء التصريح في القرآن العظيم بأنهم من المشركين فدخولهم في عموم قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ التوبة ٢٨، لا إشكال فيه، وآية التوبة التي بيّن الله فيها أنهم من جملة المشركين هي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة ٣٠-٣١. فتأمل قوله تعالى في اليهود والنصارى ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يظهر لك صدق اسم الشرك عليهم فيتضح إدخالهم في عموم: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[٦٠]

قال ابن رجب رحمه الله: (إن أهل الكتاب يقال: إنهم أشركوا وفيهم شرك كما قال تعالى: ﴿سبحانه عما يشركون﴾ التوبة٣١، ولا يدخلون في اسم المشركين عند الإطلاق؛ بل يفرق بينهم وبين المشركين كما في قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ

(59) أضواء البيان ٣٩٨/٩-٤٠٠.

(60) الفتاوى ص ٣٦-٣٧.

كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ البينة١، فلا يدخل الكتابية في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ البقرة ٢٢١.(٦١) وهذا كما تقول فلان فيه جاهلية ولكن لا تقول هو جاهلي. فلا يدخل في اسم الجاهلية عند الإطلاق لكنه يفرّق بينه وبين الجاهلي. فهم كما قال ابن رجب رحمه الله فيهم شرك ولكنهم لا يدخلون في اسم المشركين عند الإطلاق، وهذا الحكم عليهم فيما يتعلق بإطلاق الشرك عليهم، أما وصفهم بالكفر فقد ورد ذلك صريحا في القرآن في عدة مواضع كما في آية المائدة والتوبة وغيرها، وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: (فاليهود والنصارى لما لم يصدّقوا محمدًا عليه الصلاة والسلام، صاروا بذلك كفارا ضلالا، وإن فرضنا أن بعضهم وحّد الله، فإنهم ضالون كفار بإجماع المسلمين لعدم إيمانهم بمحمد ﷺ)(٦٢).

ومع وجود هذه الاعتقادات الشركية والصور والوثنية في الديانة النصرانية فإن هذا لا يخرجها عن كونها ديانة كتابية، ولا يخرج أهلها عن كونهم أهل كتاب خصهم الشرع الحنيف والكتاب الخاتم بأحكام كحل ذبائحهم، وجواز نكاح نسائهم المحصنات، وقبول الجزية منهم وغير ذلك... لأن هذه الاعتقادات موجودة في الديانة النصرانية من قبل البعثة المحمدية وقبل نزول القرآن؛ فإن النصارى الذين قال الله فيهم: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ المائدة، ٥. هم الذين قال الله فيهم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ

(61) فتح الباري لابن رجب ٧٢/١.

(62) التوحيد الذي بعث الله به رسله ١٩.

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ المائدة،٧٣. إذا فالنصارى الذين أذِنَ الله في حل طعامهم هم الـــذين أخبر عنهم أنهم كانوا على هذه العقائد الباطلة.

وحيث تواطأ الكتاب والسنة على وصمهم بالكفر والشرك فلا يجـــوز لمـــسلم أن يسبغ عليهم وصف الإيمان أو الإسلام، بل لا يجوز له أن يشك في كفرهم، فقـــد عدّ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى أن من نواقض الإسلام من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم فقال: (الثالث من نواقض الإســـلام: مـــن لم يكفّر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر)[٦٣].

وقال الإمام الحجاوي رحمه الله: (من لم يكفر من دان بغير الإسلام كالنصارى أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم فهو كافر)[٦٤] فالقارئ إذا يلاحظ أن إطلاق وصف الشرك على النصرانية ورد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية وفي مصنفات علماء الإسلام، بل وفي مصنفات بعض الغربيين.

وفي هذا المبحث الذي رأينا من خلاله أن القرآن والسنة أطلقا وصـــف الـــشرك وحكما بالشرك على النصارى المثلثة، وفي المبحث التالي سنقف مع إقرار النصارى على أنفسهم بالشرك، وفعلهم له، وذكر ما يلزم منه الشرك – على أنه دين يدان به، وعقيدة تعتقد، ومنهج يسار عليه.

(63) نواقض الإسلام ص٢. وانظر أيضا شرح منتهى الإرادات ٣٠٣/١١، وحواشي الشرواني ٨٤/٩.

(64) كشاف القناع على متن الإقناع ١٧٠/٦

المبحث الثاني

مظاهر الشرك في النصرانية من خلال كتبهم

المطلب الأول: قولهم المسيح ابن الله

جاء المسيح عليه السلام مؤيدا لمن سبقه من الرسل، وداعيا إلى الله وشاهدا بالوحدانية، ومبشرا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، ولكن لما كان ميلاده عجيبا عظيما على غير مثال سابق، وإن سبقه ما هو أعظم منه وهو خلق الإنسان من طين– فقد ضل بسببه فريقان: فريق ظن بأمه ظن السوء واتهمها بالزنى وهم اليهود، وفريق اتخذ من ذلك ذريعة لهدم النصرانية وتقويض دعائم التوحيد فيها فزعم أنه ابن الله وأنه إله من إله،[٦٥] وظل الصراع قائما وشديدا بين مؤيد لهذا الزعم والافتراء، وبين معارض له معارضة شديدة أيضا، وهم الأكثرون، وظل الصراع قائما بينهما إلى أن حسم الصراع لصالح الأقلية المشركة ذات الاعتقاد الوثني في مجمع نيقية عام ٣٢٥م.[٦٦]

ومنذ أن اتخذ المجمع المسكوني المنعقد في نيقية عام ٣٢٥م قراره بأن المسيح ابن الله، وأنه إله وابن إله، فقد أجمعت الطوائف الكبرى في الديانة النصرانية على هذه العقيدة وحافظت عليها في كل عصورها.

إذا النصرانية تعتقد أن المسيح عليه السلام ابن الله وهذه اللفظة (ابن الله) قد وردت مرات عديدة في كتبهم المقدسة ولكنها ليست كثيرة، فمن ذلك قول بولس: (عَنِ ابْنِه. الَّذي صَارَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ الْجَسَد،٤ وَتَعَيَّنَ ابْنَ اللهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ

---

(65) قاموس الكتاب المقدس مادة مسيح وقد شغل من الصفحات ٨٦٠– ٨٨٩.

(66) محاضرات في النصرانية ١٤٩– ١٦٠.

رُوحِ الْقَدَاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ) رومية١، ١: ٣-٤. ومع أن المسيح عليه السلام لم ينقل عنه حرف واحد في وصف نفسه بهذا الوصف؛ نجد أنه ينكر وصفه بذلك كما في إنجيل متى: (١٥قَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» ١٦فَأَجَابَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَقَالَ: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ!». ١٧فَأجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.) متى ١٦: ١٦-١٧. ومع هذا النفي القاطع إلا أن النصارى يتكلفون في نسبتها إليه، فهذا القس فهيم عزيز يقول في تكلّف: (ولقد سبق أن عرفنا أن هذا اللقب أطلق على إسرائيل ومَلِك إسرائيل في العهد القديم، وأطلق في اليهودية على الإسرائيلي البار؛ ولكن هذه النسبة لا تعني أن هذا الشخص أو الشعب صفات إلهية، ولكنها تعني أنه قد أصبح في علاقة خاصة بالله، يعلن الله نفسه عاملا فيه وبواسطته.

أما إذا أتينا إلى العهد الجديد فإننا نجد – بعيدا عن الأناجيل – أن الكتّاب المقدسين لا يستخدمون هذا اللقب كثيرا فيما عدا بولس، وكاتب العبرانيين – أي كاتب رسالة العبرانيين- ورسالتي يوحنا، أما بقية الكتب فنادراً ما نجد هذا اللقب فيها.. فالكنيسة آمنت "بابن الله" وكانت تناجي "الرب" فابن الله هو موضوع الإيمان، بينما الرب هو موضوع العبادة).

ولعل السبب في ذلك أن هذه العقيدة لم تقر إلا متأخرة أي في القرن الرابع مما جعل بعض الكتابات المتقدمة تخلو منها.

ثم يمضي متكلفا فيقول: ولكن ماذا يعني هذا اللقب في كتابات بولس؟ لقد مر بنا أن هذا الاسم عقائدي، وعلى هذا الأساس نجده يشير إلى ثلاثة أمور:

١- أنه موضوع الإيمان.

٢- أساس بنوة المؤمنين.

٣- الابن الأزلي.

بهذا يكشف بولس أن الابن شريك وعامل مع الآب في كل أعماله من الأزل وإلى الأبد.)[٦٧] تعالى الله عما يقول الظالمون الأفاكون علوا كبيرا.

فهم يقولون بالشرك ويجمعون عليه، بل يرونه أساس إيمانهم، ومصدر خلاصهم، وغاية مرادهم، فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به.

المطلب الثاني: قولهم بالتثليث

يعتبر الطور الثاني من الأطوار التي مرت بها النصرانية هو طور التثليث، ذلك لأن النصرانية بعد أن اعتبرت المسيح عليه السلام ابن الله، طرأ عليها انحراف آخر وهو ما مكانة الروح القدس؟ وهل الروح القدس إله أم ماذا؟ وعقد لأجل ذلك مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م، وأقر هذا المجمع قانون الإيمان النقياوي — نسبة إلى مجمع نيقية — وأضاف إليه خمس مواد تكملة له ومنها: المادة الثامنة عن لاهوت الروح القدس وهذا نصها: (نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب نسجد له ونمجده مع الأب، والابن الناطق في الأنبياء).[٦٨] ويبين قاموس الكتاب المقدس تاريخ تبلور هذه العقيدة فيقول: (ولقد تبلور قانون الإيمان الاثناسيوسي على يد أغسطينوس في القرن الخامس، وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا) [٦٩]

---

(67) الفكر اللاهوتي في رسائل بولس ١٤١- ١٤٦ مختصرا. وانظر إيماننا صادق وأكيد ٨٠. وانظر عقائد أساسية مدخل في علم اللاهوت ٨١.

(68) استحالة تحريف الكتاب المقدس،٤٩٦.

(69) قاموس الكتاب المقدس مادة تثليث، ص ٢٣٢- ٢٣٣.

ويقول قاموس الكتاب المقدس في شأن الروح القدس: (هــو روح الله، الأقنــوم الثالث في الثالوث، وقد سمّيَ روحا لأنه مبدع الحياة، ودُعي قدوسا لأنه من ضمن أعماله تقديس قلب المؤمن، ويدعى روح الله وروح المسيح، ويعلمنــا الكتــاب المقدس بكل وضوح عن ذاتية الروح القدس وعن ألوهيته، إذ نسب إليه أسماء الله، الحي، وصفاته وأعماله وعبادته.

فنسب أسماء الله ونسبت إليه صفاته الإلهية كالعلم بكل شيء، والقدرة على كــل شيء، ونسب إليه الأعمال الإلهية كالخلق، ونسب إليه العبادة الواجبة، ومن ضمن أعماله أنه يهب القوة والحكمة والفهم والمعرفة، ويشفع في المؤمنين، وهــو يحيــي المائتين بالخطايا والآثام ويقدسهم ويطهرهم، ولما كتب الآباء والأنبيــاء والرســل أسفار الكتاب المقدس كانوا مسوْقين من الروح القدس الذي أرشدهم فيما كتبوا وحفظهم من الخطأ).[٧٠]

فالقارئ يرى كيف وصف النصارى الروح القدس بــصفات الله ونــسبت إليــه الأعمال الإلهية التي هي من خصائص الرب سبحانه وتعالى عما يشركون.

وبعد أن ذكر قاموس الكتاب المقدس مادة (تثليث) وبين أنها أساس الإيمان حاول مصنفو هذا القاموس أن يلخصوا هذه العقيدة ويقربوها للعامة فقالوا: (ويمكن أن نلخص العقيدة في هذه النقاط الست التالية:

١- الكتاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله.

٢- هؤلاء الثلاثة يصفهم الكتاب بطريقة تجعلهم شخــصيات متميــزة الواحدة عن الأخرى.

٣- هذا التثليث في طبيعة الله ليس مؤقتا أو ظاهريا بل أبدي وحقيقي.

---

(70) قاموس الكتاب المقدس مادة الروح القدس، ص ٤١٤- ٤١٥.

٤- هذا التثليث لا يعني ثلاثة آلهة بل إن هذه الشخصيات الثلاث لجوهر واحد.

٥- الشخصيات الثلاث الآب والابن والروح القدس متساوون.

٦- لا يوجد تناقض في هذه العقيدة بل بالأحرى تقدم لنا المفتاح لفهم باقي العقائد المسيحية.[٧١]

ومع كل هذا التباين التام بين هذه الشخصيات الثلاث وهذا التغاير الجلي بينها يصر النصارى على أنها تدل على الوحدانية وأنها لا تدل على التناقض، سبحان الله وتعالى عما يشركون.

ويقول قاموس الكتاب المقدس: (ونود أن نشير إلى أن عقيدة التثليث عقيدة سامية ترتفع فوق الإدراك البشري ولا يدركها العقل مجردا؛ لأنها ليست وليدة التفكير البشري بل هي إعلان سماوي يقدمه الروح القدس).[٧٢] وكيف يكون سماويا وهذا القاموس يذكر في فقرة سابقة أن التثليث اعتُمِد على يد أغسطينوس في القرن الخامس، وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا؟ وكيف يكون من رسالة المسيح عليه السلام وهو لم يلحق بها إلا بعد خمسة قرون؟ وكيف يكون عقيدة إيمانية وهو يستعصي على الإدراك البشري؟

ومهما حاول منظرو النصرانية أن يجعلوه عقيدة سامية عن التصور الذي يؤدي إلى القول بالتثليث الصريح إلى أنهم لن يصلوا إلى ذلك حيث تقول الكاتبة الأمريكية

---

(71) قاموس الكتاب المقدس مادة تثليث، ٢٣٢- ٢٣٣.

(72) المرجع السابق مادة تثليث،٢٣٢- ٢٣٣.

باربارا براون: (إن عقيدة التثليث تنص ببساطة أن الألوهية تتكون من ثلاثة كائنات إلهية: الله الآب، وعيسى الابن، وروح القدس)[٧٣].

وهذا التثليث تذكر دائرة المعارف الكتابية أنه لم يرد في العهد القديم ولا في العهد الجديد، وهذا موافق لقول قاموس الكتاب المقدس أنه اعتمد في القرن الخامس، فكيف يعتمد بعد المسيح بخمسة قرون ويتوقع أن يرد في العهدين، ولقد حاول مصنفو هذه الدائرة أن يبرروا هذا العقيدة ويتلمسوا مصدرها ومأخذها، وسودوا لأجل ذلك صفحات كثيرة و لم تزدد إلا غموضا وضلالا، وكيف تشهد البراهين الصحيحة على الإفك والزور والبهتان؟ وفيما يلي ذكر مختصر لما ورد في هذه الدائرة عن عقيدة التثليث: (أولا: لم ترد كلمة " الثالوث " في الكتاب المقدس، حيث لا يذكْر الكتاب المقدس هذا اللفظ بالذات تعبيرا عن مفهوم إنه ليس هناك سوى الله الواحد الحقيقي، وأن في وحدانية الله ثلاثة أفانيم هم واحد في الجوهر، ومتساوون في الأزلية والقدرة والمجد، لكنهم متمايزون في الشخصية. وعقيدة الثالوث عقيدة كتابية، ليس باعتبار ورودها نصا في الكتاب المقدس، لكن باعتبارها روح الكتاب المقدس. والتعبير عن عقيدة كتابية بعبارات كتابية أفضل لحفظ الحق الكتابي.

ثانيا: الثالوث عقيدة معلنة: أن أساس عقيدة الثالوث هو الإعلان الإلهي، فهي تجسّد الحق الذي لم يقدر العقل البشري الطبيعي أن يكتشفه، ولن يقدر من ذاته؛ لأن الإنسان بكل ثاقب عقله، ليس في مقدوره أن يكتشف أمور الله العويصة. قد ظهرت - بلا شك - ثلاثيات من الآلهة في كل الديانات الوثنية تقريبا، وإن كانت الدوافع لظهور تلك الثلاثيات مختلفة. ثم أورد عددا من الآلهة المثلثة وحاول أن

---

(73) نظرة عن قرب في المسيحية، لباربَارا براون، ص٣٢.

يوجد الفرق بين تثليث الوثنيين وتثليث النصارى المثلثة. فقال: وليس من غير المتوقع، أن تعتبر إحدى هذه الثلاثيات – بين الحين والآخر – أساسا لعقيدة الثالوث الأقدس في المسيحية، ولسنا في حاجة إلى التأكيد بأنه ما من ثلاثي من كل هذه، له أدنى شبه بالعقيدة المسيحيّة في الثالوث. فالعقيدة المسيحية عن الثالوث تجسد ما هو أكثر من مفهوم " الثلاثة "، وكل تلك الثلاثيات ليس فيها شيء شبيه بالعقيدة المسيحية سوى العدد " ثلاثة ".

ثالثا: عقيدة الثالوث ليس لها برهان عقلاني: لا يمكن إثبات عقيدة الثالوث بالعقل لأنها تسمو عن أدراك العقل.

رابعا: تأييد لهذه العقيدة: وعلي أي حال، فإن التفكير على هذا النمط لشرح حقيقة الثالوث شرحا عقلانيا لا يخلو من فائدة، فانه يثبت لنا بوضوح أن مفهوم الثالوث عن الله يسمو عن مفهومه كوحدة بسيطة مطلقة.

خامسا: عقيدة الثالوث غير معلنة بوضوح في العهد القديم: لا نستطيع أن نتكلم بتوسع عن إعلان عقيدة الثالوث في العهد القديم، ولكن من الحقائق الواضحة أنه لم يستطع أحد – اعتماداً على الإعلان الموجود في العهد القديم فحسب – أن يصل إلى عقيدة الثالوث).[٧٤]

فالقارئ يلاحظ أن هذه العقيدة محل قبول وتسليم من حيث هي عقيدة معتمدة، وأن كانت مستحيلة على الفهم والإدراك البشري، وهي في ذات الوقت عقيدة تفتقر إلى النص النقلي أو البرهان العقلي. بل الاعتراف منهم إلى أنها لا تستند إلى شيء معتبر، بل غاية ما عندهم أنه أقرها مجمع من مجامعهم، والعقائد لا تؤخذ من مجامع البشر.

---

(74) دائرة المعارف الكتابية مادة ثالوث. وانظر الرابط التالي للمزيد ١/ http ofm/ god/dogma/index.html١ /www١٩٨,٦٢,٧٥,١/

وهذه العقيدة رغم افتقارها إلى البرهان النقلي والعقلي إلا أنها قطب رحى الديانة النصرانية فقد نقل المستشار محمد مجدي مرجان – الذي كان نصرانيا ثم أسلم – عن القس توفيق جيد قوله: (إن عقيدة الثالوث أعظم العقائد المسيحية أهمية وأساسها كلها؛ لأنها تتصل بذات الله حسبما أعلن لنا نفسه في كتابه، فمعرفتها هي معرفة الله، والإيمان بها هو الإيمان بالله، ومن يجهلها يجهل مولاه، ومن ينكرها ينكر الله)[٧٥].

سبحان الله (معرفتها معرفة الله). وهم يرون أنها لا تُدرك ولا تُفهم ولا يسندها العقل، ولا يعززها النقل من كتبهم المعتمدة عندهم، فكيف تكون معرفتها معرفة الله؟! إن الله عرّف نفسه لعباده، وأرسل رسله لعباده ليعبدوه وأخبرهم هن صفاته وأسمائه وأفعاله ليعرفوه فيعبدوه عن علم، فالحمد لله الذي جعلنا من أهل معرفته وأتباع دينه.

المطلب الثالث: تعظيم الأحبار والرهبان وعبادهم

لم يريدوا أن ينفرد المسيح عليه السلام بالمكانة التي رفعوه إليها، ولا أن يستقل بها، ولا أن يفوز بهذا الشرف ولا يشاركوه فيه، ولم يكتف الشيطان منهم بهذا الكفر والشرك بل رغب منهم أن يجعلوا من أنفسهم شركاء في الطبيعة الإلهية فقد جاء في رسالة بطرس الثانية: (٣كَمَا أَنَّ قُدْرَتَهُ الإِلهِيَّةَ قَدْ وَهَبَتْ لَنَا كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى، بِمَعْرِفَةِ الَّذِي دَعَانَا بِالْمَجْدِ وَالْفَضِيلَةِ، ٤ اللَّذَيْنِ بِهِمَا قَدْ وَهَبَ لَنَا الْمَوَاعِيدَ الْعُظْمَى وَالثَّمِينَةَ، لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ) رسالة بطرس الثانية ١. ثم منحوا أحبارهم ورهبانهم سلطان التشريع للبشر، فجعلوا من أنفسهم

(75) الله واحد أم ثالوث، ص١١.

آلهة تشرّع للبشر وتضع لهم أصول ديانتهم، لذا انتحلوا قولا يؤسس لهم هذا الضلال، ونسبوه إلى المسيح عليه السلام وهو قوله حسبما زعموا: (١٨وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. ١٩وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ». إنجيل متى،١٦. إلا أن هذا القول يناقضه قول آخر في الإنجيل نفسه وهو قوله: (٢١مِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ. ٢٢فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ قَائِلاً: «حَاشَاكَ يَارَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا!» ٢٣فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرُسَ: «اذْهَبْ عَنِّي يَاشَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ). إنجيل متى،١٦.

إن مما رمي به كتّاب الكتاب المقدس أنهم كتبوه في أزمان متفرقة، وقد ينسب السفر إلى أكثر من شخص بحيث يكتب المتأخر ما يناقض المتقدم وهو لا يشعر.[٧٦] وقد يدّون الكاتبُ في فترة متأخرة خلاف ما سبق أن دونه. وما ورد من النص السابق يؤكد هذه الحقيقة التي توصل إليها الباحثون، فالفقرات الأولى تؤكد أن المسيح عليه السلام أعطى بطرس مفاتيح ملكوت السموات والأرض، وما يربطه في الأرض يكون مربوطا في السماء، وفي الفقرات التالية يؤكد أن بطرس شيطان!!.

وهذا النص أيضا أي الفقرات ١٨-١٩ من إنجيل متى هو معتمد الكنيسة في منح الأحبار والرهبان والبابوات سلطان التحريم والتحليل والتشريع ومغفرة الذنوب

(76) انظر مثلا القرآن والتوراة والإنجيل ، موريس بوكاي ٥٥،٥٦،١١٧.

الذي عابه عليهم القرآن، وأنكره عليهم الرسول ﷺ. ولو تأملنا هذا النص لوجدنا أنه يتضمن أمرين أحدهما: رفع منزلة بطرس، والآخر الحطّ منها؛ فكيف تعتمد الكنيسة الأول ولا تعتمد الثاني؟ والثاني متأخر حتما، وإذا كان بطرس شيطانا فهل ما يربطه على الأرض يكون مربوطا في السماء؟ وإذا كان هذا محتوى الفقرة الثانية أفلا يكون ناسخا للأولى؟ وعلى هذا فهل كل من حلّ محل بطرس يكون شيطانا باعتبار الحالة التي استقر عليها موقف المسيح عليه السلام من بطرس؟ وموقف بطرس من المسيح عليه السلام؟؟ وهل بابا الفاتيكان وكل البابوات الذي يعتقدون هذه العقيدة هم في مكانة بطرس الشيطان أم بطرس الرسول؟

وحينما تقلّب مراجعهم وكتبهم تجد أن عمدتهم في ذلك هو ما ذكرته لك. ففي موقع الموسوعة العربية المسيحية جاء النص التالي عن مكانة الآباء في الكنيسة حيث يقول: (مكانة الآباء في الكنيسة في تقليد الكنيسة الحي والمقدس، المُستمر منذ تأسيس الكنيسة حتى أيامنا هذه، يحتل آباء الكنيسة مكانة خاصة، تجعلهم يتميَّزون عن أي شخصية أخرى في تاريخ الكنيسة. فالآباء هم أول من وضع الخطوط العريضة لبنية الكنيسة، التنظيمية، العقائدية والرعوية، وما قدَّموه يحتفظ بقيمته بشكل دائم. من الآباء حصلنا على قانون الكتاب المقدس، قوانين الإيمان، قوانين الحياة الكنسيّة، الليتورجيا، أوائل الخلاصات اللاهوتية والتعليمية، أضف إلى ذلك التأملات في الحياة الروحية، الزهدية والصوفية. لهذا فإن سلطان تعليمهم في الأمور اللاهوتية يبقى فريداً في تاريخ الكنيسة).[٧٧] ويقول الموقع السابق عن البابوية: (البابوية هي أعلى سلطة في الكنيسة الكاثوليكية، فالبابا هو خليفة الرسول بطرس،

(77)انظر الرابط التالي: www /ofmw god/dogma/index.html١

وأسقف روما ورأس الكنيسة المنظور. كان هذا اللقب يعطى في السابق لكل أسقف في الكنيسة إلا أنه حفظ مع الوقت لرأس الكنيسة، مع احتفاظ بعض الكنائس لهذا اللقب كالكنيسة القبطية الأرثوذكسية).[٧٨]

وفي كتاب تاريخ البابوات يذكر هذا الأساس الذي تعتمد عليه البابوية في تعظيم أربابها فيقول: ("وأنا أقول لك أنت هو الصخرة، وعلى هذه الصخرة سأبني بيتي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. سأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات" إن هذه الرسالة العظيمة التي ألقاها المسيح على عاتق بطرس، الذي هو من بيت صيدا في الجليل، والتي ذكرها متى في الآية ١٨ من الفصل ١٦ من إنجيله، تُظهر تعيين بطرس خليفةً للمسيح ورئيساً للكنيسة. ويكاد لا يكون هناك بعد من شكوك ذات أهمية حول حقيقة هذه الرسالة حتى خارج العالم الكاثوليكي، وكذلك نجد في مختلف فقرات العهد الجديد حيث يبدو بطرس كلسان حال التلاميذ؛ وقد يمكن إيجاد براهين حتمية تثبت إنشاء المركز الأولي، كما هو ظاهر، في باباوية روما).[٧٩]

إن هذه المزاعم يتعذر عليهم الدفاع عنها في وجه التناقضات التي وردت عندهم عن هذا الأمر، سواء السابقة منها أم التي وردت في دائرة المعارف الكتابية حينما تتحدث عن بطرس، حيث نجد أنه بعد أن سرد قصة حياته ذكر الأخطاء التي وقع فيها، وانحطاط منزلته انحطاطا شديدا جعل المسيح يصفه بأنه شيطان، ويذكر عن

---

(78) الرابط السابق.

(79) كتاب تاريخ الباباوات"، نقله إلى العربية شحادة ميلاد أبي خليل، منشورات صوت المحبة ١٩٨٨. نقلا موقع الموسوعة العربية المسيحية على الرابط التالي ١/ofm/١ www god/dogma/index.html.

نفسه أنه لعن المسيح وأنكره، وفي هذا الصدد تقول هذه الدائرة: (أما الأحداث التي بدأت بأسبوع الالآم، فنعرف عنها الشيء الكثير لأنها مسجلة في كل الأناجيل، وتكاد تكون بنفس الترتيب. وتبدأ بغسل السيد لرجليه في ليلة الفصح الأخيرة، وقد أخطأ خطأين في تلك المناسبة، أولهما اعتداده الجريء بنفسه، وبشدة ولائه ومحبته لسيده، وتحذير سيده له من هجمة الشيطان القادمة عليه، وقد تكرر ذلك مرتين قبل أن يلقى القبض على الرب في البستان.

ثم اصطحاب الرب (أي المسيح) له مع ابني زبدي لمشاهدة معاناة الرب في جشسيماني، وتنبيه الرب لهم أن يسهروا ويصلوا، وفشلهم في ذلك حيث إنه كلما جاءهم وجدهم نياما، ثم تهوره في قطع أذن ملخس، ثم تخليه عن الرب، وهو يقاد أسيراً، وسيره وراء الموكب من بعيد، ودخوله إلى قصر رئيس الكهنة، ثم إنكاره له " قدام الجميع "، وتأييده ذلك الإنكار بقسم ثم يلعن ويحلف. وهذا ما سجله لوقا في إنجيله حيث يقول: (وَبَعْدَ قَلِيل أَيْضًا قَالَ الْحَاضِرُونَ لِبُطْرُسَ: حَقًّا أَنْتَ مِنْهُمْ، لأَنَّكَ جَلِيلِيٌّ أَيْضًا وَلُغَتُكَ تُشْبِهُ لُغَتَهُمْ!». ٧١فَابْتَدَأَ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ: «إِنِّي لاَ أَعْرِفُ هذَا الرَّجُلَ الَّذِي تَقُولُونَ عَنْهُ!» ٧٢وَصَاحَ الدِّيكُ ثَانِيَةً، فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ الْقَوْلَ الَّذِي قَالَهُ لَهُ يَسُوعُ: «إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ مَرَّتَيْنِ، تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ». فَلَمَّا تَفَكَّرَ بِهِ بَكَى). مرقس،١٤.

(وهكذا نرى أن قصة سقوط بطرس قد سجلها البشيرون الأربعة- أي كتاب الأناجيل - ولكن كما يقول أحدهم: "لم يصفها أحد منهم في صورة مخزية كما سجلها مرقس. وإذا كان إنجيل مرقس - كما هو المعتقد عموماً - قد راجعه بطرس نفسه بل قد كُتب بإرشاده، فإن في ذلك الدليل القوي على مدى

إخلاصه وندمه الصادق).[٨٠] ثم يمضي السياق في سرد قصته إلى أن يذكر مرحلة أخرى من حياته فتقول الدائرة:

١- أما الفترة الثانية – أي من حياة بطرس – من صعود المسيح إلى تجديد بولس، فيسجلها الكتاب بأكثر إيجاز. ثم يختفي من المشهد قليلا حتى نراه في المجمع الكنسي في أورشليم عند النظر في موضوع الختان وحفظ الناموس، فأضاف شهادته إلى شهادة بولس وبرنابا لتأكيد التبرير بالإيمان وحده.[٨١] وهنا يلحظ القارئ البصير بهذه الديانة ظهور بطرس مع الرجل اليهودي الذي غيّر الديانة النصرانية، وصرفها عن وجهتها وبدلها، واتفاقه معه على تحريف الديانة، حيث اتفقا على أن الإيمان وحده أي أن التصديق بالتوراة يكفي عن العمل بها وحفظها – وعن الختان، وهو شريعة جاء بها الخليل، وأكدها موسى، وأمر بها المسيح عليهم السلام، ولم يبّدلها إلا الشقيان بطرس وبولس، فكيف يعتبر الشقي الذي يحرف الشريعة إمام هدى، إنه بموجب هذا النص أول من حرف شريعة المسيح عليه السلام، وبابوات النصارى على خطاه في التحريف والشقاوة.

المطلب الرابع: تعظيم القبور والصور

لم تتوقف مظاهر الشرك في الديانة النصرانية على تعظيم البشر وعبادتهم، كما لم تقف على تعظيم الأموات – وكل ذلك شرك – بل تجاوز الأمر ذلك إلى تعظيم الصور والصلبان والقبور، وهو لا شك مظهر من مظاهر الشرك، يقول قاموس الكتاب المقدس: (ويذكر في الإصحاح ٢٣: ٢٩ القبور التي كانوا يبنونها ومدافن الصديقين التي كانوا يزينونها، وفي لوقا ١١: ٤٤ ذكر للقبور المختفية ويرجح أنها

---

(80) تأمل كيف يعتبر إقدامه على تسجيل فضائحه وتدوينها دليلا على ندمه، حقا إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

(81) دائرة المعارف الكتابية مادة بطرس.

قبور الفقراء). [٨٢] (٢٩ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَبْنُــونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ وَتُزَيِّنُونَ مَدَافِنَ الصِّدِّيقِينَ). متى٢٣.

ولقد تقرر اعتبار هذه العقيدة في الديانة النصرانية منذ المجمع النيقياوي الثاني عـــام ٧٨٧م الذي انعقد بأمر الملكة إيريني بمدينة نقية، وكان أعــضاؤه ٣٧٧ أســقفا وأصدروا القرار المتضمن تقديس صور المسيح والقديسين والأمر بعبادتها، وجاء في هذا القرار: (إنا نحكم بأن توضع الصور ليس في الكنـــائس والأبنيـــة المقدســـة، والملابس الكهنوتية فقط، بل في البيوت وعلى الجدران في الطرقات؛ لأننا إن أطلنا مشاهدة ربنا يسوع المسيح ووالدته القديسة والرسل وسائر القديسين في صورهم شعرنا بالميل الشديد إلى التفكير فيهم، والتكريم لهم، فيجـب أن تـؤدى التحيـة والإكرام لهذه الصورة). [٨٣]

ويقول نصر بن يحيى المتطبب – الذي كان نصرانيا ثم أسلم – منكـــرا علـــى النصارى اتخاذهم الصور وعبادتهم للصلبان: (ثم إنكم تتخذون الـــصليب مـــن المعادن أو النباتات وتعظمونه كتعظيم المسيح، وتضعونه على منبر عال، وتحتـــه الثياب الفاخرة، وفي خدمته جماعة من الكهنة، قد كشفوا رؤوســـهم ولبـــسوا الطيلسانات، وشدوا على وسطهم بالزنانير، ومعهم البخور والشمع المـــشعول، وهم يهللون بأعلى أصواتهم، وينقاد لخدمته الجماعات على تلك الحال أيـــضا، ويقبّلون الأرض بيني يديه ويلثمونه. ثم إنكم تتخذون الصور من المعادن وغيرها وتجعلونها في بيوتكم وبيوت عباداتكم، وتعطونها أوفى حظ ونصيب من الإكرام والإعزاز والاحترام، وما رأينا أعجب من حال من يقف قدام ما تعمله الأيدي

(82) قاموس الكتاب المقدس ص ٧١٣. مادة قبر، ص ٧١١- ٧١٣. ومادة صور منه أيضا، ص ٥٥٩- ٥٦١. وتأمل العنصرية في هذه الديانة فحتى القبور فيها تفرقة ففرق بين قبر غني وقبر فقير.

(83) محاضرات في النصرانية، ص ١٧٧.

ويسأله قضاء حوائجه ونجاح أموره، ومع هذا تجحدون أنكم عباد الأوثان والأصنام).[٨٤]

وقد وقفت على كنيسة العذراء مريم الدمشيرية في القاهرة في مصر في صيف عام ١٤٢٩هـ فرأيت من تعظيمهم للصور والصلبان وكثرتها في نواحي الكنيسة أمرا يتعجب منه كل ذي لب سليم وفطرة لم تخالطها شبهات الشرك، ويوقدون الشمع أمام بعض الصور في الكنيسة ويزعمون أن الله يقبل شفاعة صاحب الصورة لمن أشعل النار في الشمع مدة اشتعال النار، بل رأيت في هذه الكنيسة لفائف كأنها أجساد أطفال مكفنة داخل أقفاص من خشب وسقوفها من زجاج، ولما سألت عنها قالوا هذه رفات آباء الكنيسة الأقدمين، وقد وصلت إلينا بالسند المتين الذي لا مرية فيه، ونحن نستشفع بها إلى الله، ونرى أن الله يجيب دعاءنا.

سبحان الله إذا كان الكتاب المعتمد عندهم لم يصل إليهم بسند مقبول، فكيف يصل هذا الرفات عبر آلاف السنين إلى هذه الكنيسة بسند متصل؟ ثم أليس للأموات حرمة فتقطع أوصالهم وتفرق بين الكنائس؟ ثم من الذي شرع لهم هذا العبث والخرافات؟!.

وتجد في أثناء كتبهم توسلا واستشفاعا بالأموات ورجاء لبركتهم وكشاهد على ذلك فقد ختم كل من المُقدِمَين لكتاب (إيماننا المسيحي) مقدمتيهما للكتاب بشفاعة الطاهرة القديسة مريم والدة الخلاص. وكذا ختم المؤلف مقدمته بقوله: (أطلب من الرب استفادة وثمرة وثباتا لكل من يقرأ هذا الكتاب بشفاعة فخر

(84) النصيحة الإيمانية ٧٤-٧٥.

جنسنا القديسة مريم العذراء، وطلبات العظيم في اللاهوتيين الأنبـــاء أثناســـيوس الرسولي وأب جميع الرهبان الأنباء أنطونيوس).[85]

وهذا الأمر وهو تعظيم الصور والصلبان وتقديس الأموات وعبادتهم أمر لا يحتاج إلى شاهد بل كل من زار عاصمة من عواصم الدول المتدينة بهذه الديانة رأى تماثيل المسيح وأمه وسائر معظميهم تملأ الشوارع والميادين، بل إن هذا الأمر هو أحـــد الأمور التي خرج بها مارتن لوثر على بابوات الفاتيكان، وانشق عليهم مكونا بعد ذلك طائفة البروتستانت. وبقي تعظيم الصور والـــصلبان وعبادتهـــا في الطائفـــة الكاثوليكية والأرثوذكسية، وإن تخلت عنه البروتستانتية لكنـــها لا تـــزال تـــرى الصليب شعارا لها يذكّرها بمعبودها المسيح عليه السلام.

(85) إيماننا المسيحي ١، ٢، ٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، كما أنه لا شريك له في خلقه وأمره وتدبيره، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وخليله وأمينه على وحيه، بلّغ الرسالة، ونصح الأمة، وأوضح المحجة، وأقام الحجة، وأشهد أن عيسى عبد الله ورسوله عليه السلام عبد مربوب، ونبي متبوع، ليس له من خصائص الألوهية شيء.

ومن خلال هذا البحث الموجز الذي تناول مظاهر الشرك في الديانة النصرانية تبين لنا أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد اشتملا على آيات باهرة، وأحاديث صادقة، وحجج قاطعة تؤكد أن النصرانية قد انحرفت عن وجهتها الأولى، واقتفت آثار أهل الأوثان، وشاركتهم في وجوه من الشرك وأنواع منه، من خلال اعتقادها أن المسيح ابن الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ومن خلال اعتقادها بثلاثة آلهة، ومن خلال اتخاذها للأحبار والرهبان أربابا من دون الله، ومن خلال تعظيمها للقبور والصلبان والصور وعبادتها.

وهذا الأمر الذي تواترت عليه نصوص الكتاب والسنة، لا تنكره النصرانية، ولا تتبرأ منه بل تدونه في كتبها، وتمارسه في كنائسها، وإن كانت تدعي أن هذا ليس شركا؛ بل تعده توحيدا، فما الشرك إذا لم يكن التثليث واتخاذ الأحبار والرهبان أربابا شركا؟

وقد وثقت كل ذلك من الكتاب والسنة ومن كتبهم المعتمدة ومواقعهم المعتبرة، ومن المصنفات التي تناولت هذه المسألة مما كتبه علماء الإسلام أو كتبه أحبار النصرانية.

ومع وجود هذه الاعتقادات الشركية والصور والوثنية في الديانة النصرانية فإن هذا لا يخرجها عن كونها ديانة كتابية، ولا يخرج أهلها عن كونهم أهل كتاب خصهم الشرع الحنيف، والكتاب الخاتم بأحكام كحل ذبائحهم، وجواز نكاح نسائهم المحصنات، وقبول الجزية منهم وغير ذلك.

وهذا ما تيسر جمعه ورقمه، فإن يكن ذلك صوابا فمن الله وله الحمد أولا وآخرا، وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان واستغفر الله ذنبي وخطأي وعمدي وإسرافي على نفسي، وأسأل الله أن يختم لنا ولوالدينا ولمشايخنا بالصالحات من الأقوال والأعمال؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه. والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبينا وإمامنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

موجز البحث:

اسم البحث: مظاهر الشرك في الديانة النصرانية

مجال البحث: الدراسات الإسلامية، العقيدة الإسلامية، مجادلة أهل الكتاب.

اسم الباحث: الدكتور محمد بن عبد الله بن صالح السحيم.

عدد صفحات البحث: 69 صفحة.

عنوان الباحث: قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود.

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى. أما بعد

فقد تناول الباحث في هذا البحث مظاهر الشرك في الديانة النصرانية ودل على هذه المظاهر من الكتاب والسنة، وكتابهم المعتمد وأقوال مصنفين معتَبرين من علماء المسلمين ومن علماء نصارى، ومن مواقع معتمدة لطوائف ومؤسسات وكنائس نصرانية.

وقد كتبت هذا البحث لأن بعض المصنفين وبعض الكتاب من المسلمين يصف النصارى بأنهم مؤمنين أو يصفهم بأنهم مسلمين، وهذا مخالف للشرع، ومناقض للواقع.

وخلص الباحث في هذا البحث إلى أن القرآن والسنة ورد فيهما أن النصرانية اشتملت على أنواع من الشرك، كما أن كتابهم المقدس ومصنفاتهم ومواقعهم قد حَفلت بالشرك وأقرته وذكرت أدلته واعتبرته من صميم العقيدة النصرانية، لكنها لا تعده شركا وإنما تسميه توحيدا، فالتثليث وادعاء بنوة المسيح لله رب العالمين، واتخاذ الأحبار والرهبان أربابا... يعدون ذلك توحيدا، وليس شركا.

والحمد لله أولا وآخرا.

وأصلي وأسلم على خير خلقه وأمينه على وحيه، نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

The Brief of The Research

Research Title: The Characteristics of Polytheism in Christianity

Researcher's Name: Dr. Mohaammed B. Abdullah B. Saleh Al-Suhaim

No. of Pages: 69

Research Address: King Saud University, College of Education, Department of Islamic Studies.

Praise for God alone, and blessings of God and peace be upon his messenger.

In this Research, The Researcher handled the characteristics of Polytheism in Christianity, giving evidence and witness taken from the Book of Islam and Sonnah (Prophet's Sayings), and their accredited books, reliable Islamic and Christian scientists and from the accredited sources of parties, institutions and Christian Churches.

The Researcher was motivated to write this Research, because some Islamic authors and writers describe and look at Christians as believers and Muslims, which is totally wrong, and disagree and contradict the code of Islam and the reality.

The Researcher came to the conclusion that The Holy Quran and Sonnah (Prophet's Sayings) stated that Christianity contained many types of Polytheism, and that their holy Bible and literary works are full of polytheism, and they confessed and considered that as the core of Christianity, but they do not call it polytheism, instead, they call it oneness (Unity of God) . Christianity contained Trinity, they claimed that Juses is the son of God, and took their religious scientists, priests and monks as Gods, they called this oneness and not polytheism.

Praise firstly and eventually

Blessing and peace be upon our prophet Mohammed, his family and followers.

فهرس المراجع

- القرآن الكريم
- *الأجوبة الفاخرة*، أحمد بن إدريس القرافي، ن دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ.
- *استحالة تحريف الكتاب المقدس*، مرقس عزيز خليل، ن الكنيسة المعلقة بمصر القديمة، ط٨، ٢٠٠٣م.
- *الإسلام والعصر*، عبد العزيز كامل، ن دار المعارف، مصر، ١٣٩٤هـ.
- *الإسلام والوحدة القومية*، محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
- *الإسلام والمسيحية*، أليكسي جورافسكي، ترجمة خلف محمد الجراد، ن عالم المعرفة، الكويت.
- *الأصول الوثنية للمسيحية*، أندريه نايتون، إدغار ويند، ترجمة سميرة الزين، المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، ط١، ١٤١١هـ.
- *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، محمد الأمين الشنقيطي، طبع على نفقة الأمير أحمد بن عبد العزيز.
- *الأعمال الكاملة* لمحمد عبده، تحقيق المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣م.
- *إيماننا المسيحي*، للشماس د سامح حلمي، دار نوبار للطباعة، ط ٢.
- *بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعا وبعث به خاتمهم محمدا ﷺ*، عبد العزيز بن باز، ن الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ط١، ١٤١٧هـ.

- *تاريخ الباباوات*"، نقله إلى العربية شحادة ميلاد أبي خليل، منشورات صوت المحبة ١٩٨٨.
- تفسير التحرير والتنوير، تأليف: محمد الطاهر بن عاشور، ن: دار سحنون بتونس
- *تفسير القرآن العظيم*، إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء، ن دار الفكر، ١٤٠١.
- *تلبيس الجهمية*، شمس الدين ابن القيم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٦هـ.
- *التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي*، الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التنصيري الذي عقد في ولاية كلورادو عام ١٩٧٨م، دار marc.
- جامع البيان عن *تأويل آي القرآن*، تأليف: محمد بن جرير الطبري، ن: مؤسسة الرسالة، المحقق: محمد أحمد شاكر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- *الجامع لأحكام القرآن*، محمد بن أحمد القرطبي، ن دار الكتب المصرية، ط ٣.
- *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ن مكتبة المدني ومطبعتها. مصر.
- *دائرة المعارف الكتابية*، ن دار الثقافة، مصر.
- *دفع إيهام الاضطراب*، محمد الأمين الشنقيطي، مطبوع مع كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، طبع على نفقة الأمير أحمد بن عبد العزيز.
- *دين الله واحد*، على ألسنة جميع الرسل، محمود أبو رية، عالم الكتب، ط٢.
- *ستة أسئلة خطيرة*، بول بور ثويك، ترجمة إدوارد وديع، ن دار الثقافة، القاهرة، ط ١.

- *سنن البيهقي* ، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ت محمد عبد القادر عطا، ن مكتبة درا الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤.

- *سنن الترمذي* ، محمد بن عيسى الترمذي، ت أحمد شاكر ، ن دار إحياء التراث، بيروت.

- شرح *قصيدة ابن القيم*، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، ن المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٦هـ .

- صحيح *البخاري*، محمد بن اسماعيل البخاري، ن دار ابن كثير ، بيروت، ١٤٠٧.

- صحيح *مسلم* ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ن دار إحياء التراث.

- *عقائد أساسية مدخل في علم اللاهوت*، د دونالد ديماري، ترجمة شاكر إبراهيم سعيد، ن مكتبة النيل المسيحية، القاهرة.

- *العقائد الوثنية في الديانة النصرانية*، محمد طاهر التنير، ن مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤٠٨هـ.

- *الفتاوى*، محمد الأمين الشنقيطي، مطبوع ضمن مجموع آثار الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق سليمان بن عبد الله العمير، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١، ١٤٢٦هـ

- *الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس*، فهيم عزيز، ن دار الثقافة القاهرة.

- في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، محمد الشرقاوي، ن دار الهداية، ط١، ١٤٠٦هـ.

- *قاموس الكتاب المقدس*، تأليف نخبة من المختصين بطرس عبد الملك وآخرون، ن دار الثقافة، القاهرة، ط٧.
- *القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة*، موريس بوكاي، ن دار المعارف.
- *لسان العرب*، جمال الدين بن محمد بن منظور، ن دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٤هـ.
- *الله واحد أم ثالوث*، لمحمد مجدي مرجان، مكتبة النافذة، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٤م.
- *مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية*، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط١، ١٣٩٨.
- *محاضرات في النصرانية*، محمد أبو زهرة، ن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٠١هـ.
- *معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد*، حافظ حكمي، ط٣ ١٤٠٤هـ.
- *المعجم الكبير للطبراني*، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت حمدي عبد المجيد السلفي، ن مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤.
- *مفاتيح الغيب*، فخر الدين الرازي، ن دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- *المفردات في غريب القرآن*، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني،ت سيد كيلاني ن دار المعرفة بيروت.

- *موقف الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصرمن قضايا الولاء والبراء*، مضاوي البسام، رسالة ماجستير، مقدمة إلى كلية التربية في جامعة الملك سعود، ١٤٢٥ – ١٤٢٦هـ.
- *النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية*، نصر بن يحي المتطبب، تحقيق د محمد الشرقاوي، ن دار الصحوة، مصر، ١٤٠٦هـ
- *نواقض الإسلام*، عبد العزيز بن باز، ن وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ١٤١٠هـ.

ردمك ٣-٦٥٤-٥٥-٩٩٦٠-٩٧٨
مطابع جامعة الملك سعود